

أحمد فؤاد شيمون

# أمومة حائرة

ملتزم الطبع والنشر  
مكتبة الآداب ومطبعتها بالجماميز ت ٩١٩٣٧٧  
للطباعة النموذجية  
٦ مكتبة الشهابي بالحامية الجديدة





أُمُومَةُ حَائِرَةٍ

وقصص أخرى



# أمومة حائرة

وقصص أخرى

تأليف  
أحمد فؤاد تيمور

القاهرة - ١٩٧٠

ملتزم الطبع والنشر  
مكتبة الآداب ومطبعها بالجامع ت ٩١٩٣٧٧

المطبعة النموذجية  
٦ مكنة الشارقة مالابطة العربية

## قصيدة

بقلم الأستاذ الكبير محمود تيمور

( الكلمة التي كتبها تعبيراً عن رأيه  
في أول قصة في هذه المجموعة ، وهي قصة  
« أمومة حائرة » ) .

هذه قصة قصيرة اخترت أن أقدم لها ، وما أقصد بهذا التقديم  
بجاملة كاتبها ، لمكان قرابته مني ، بقدر ما قصدت إلى تقدير ما فيها  
من قرابة للفن ، وهي أعز وأبقى ، وليس غيرها أولى بالمجاملة  
والإيثار .

لقد استرعى انتباهي من القصة أنها طليعة طيبة ، وما أحرانا  
أن نهتف لمثلها من الطلائع ، كي تأخذ الكفايات المبشرة حظها من  
النماء والازدهار .

وليست هذه القصة بالتى تنطوى على أحداث ضخام ، وشخصيات  
معقدة ، ونهايات مثيرة ، ولكن قيمتها تتركز في لمسها الإنسانية  
الصادقة ، وفي منحها الطبعي الهين المألوف الذى سارت فيه بدءاً  
وختاماً .

يصور لنا الكاتب طفلة نشأت ، وبين جنبها مشاعر مبكرة  
للأمومة ، فكان متنفسها العاطفي هو الدمى والعرائس ، ومضت  
بها الأيام تنضج من مشاعر ها تلك ، حتى استقبلت حياة الزوجية ،  
وهي معقد الأمل في أن يتحقق لها حلمها المنشود ، وبينما هي توشك  
أن تقطف الثمرة الزكية ، وتنعم بالصحبة الأنيسة ، إذا صرح  
الأمل ينهار ، فلا تجد أمامها إلا سرابا كان يروى ظمأها في عهد  
الطفولة الغضة ، وهيئات أن يطفي لها اليوم ظمأ ، وقد جاوزت  
ذلك العهد الوديع .

لم يفوت الكاتب أن يستهل قصته بتمهيد ، فأدار حوارا حول  
صورة تزين حائط حجرة ، وما هذه الصورة إلا رمز لمحور القصة ،  
أعنى الأمومة ، وفي الحوار تلمع هذه الجملة : « إن كل امرأة تحيا في  
باطن نفسها ماتحيا على مطرح أنظارنا تلك الأم الفخور » . وهذا  
التمهيد يدل على بصر بالصناعة القصصية ، إذ يقيم ركناً من أركانها  
هو الإيحاء بالموضوع ، والتشويق إليه . وليس التمهيد ثانوياً  
في علاقته بالقصة ، وليس نطاقه بحيث يطغى على كيانها  
الجوهري .

مضى الكاتب يصف لنا كيف نشأت عاطفة الأمومة عند الطفلة  
وصفاً جميلاً ، فهي : « ما كادت تستكمل سنينها الخمس حتى كان سمعها



الغض يأنس بذلك اللحن الطروب ، لحن الأمومة الخالد ، وعاشت .  
في حداتها تترسل عليها تلك الأنغام العذبة الرائقة كأنها سواكب  
الطل في الأسحار تلثم نابت الزهر ، أو كأنها مطالع الأضواء تداعب  
عصفورا في وكره لتنفض عنه خدر النعاس ، وتبعث فيه يقظة .  
النهار الجديد .

وأحسن الكاتب في اختيار الجو الذي يصلح مسرحا لتلك  
العاطفة الأمومية في عهد الطفولة ، جو الدى والعرائس ، وبرع  
في نقل إحساسات الطفلة ، وهى تضنى على تلك الجوامد خفقة  
الحياة ، حتى لكاننا نعيش مع العرائس والدى ، نحسبهم من الأحياء .  
فالعروس كانت تقع في يد الطفلة : « دمية صامته ، لاحس فيها ولا  
حراك ، فتسرع إليها تتحدث ، وتقبل عليها تتعرف ، فكأنما تنفخ  
فيها من روحها ، ليستكمل خلقها ، فإذا الدمية الصموت ناطقة ،  
وإذا العروس الجامدة خلق آخر يشعر ويحس » .

ولا يقف الكاتب في تصوير موقف الطفلة من العرائس والدى .  
عند مجرد الوصف ، ولكنه يحاول أن يجعلنا نؤمن بأن الطفلة قد  
اتخذت من عرائسها ودماها دنيا حقة لها كل مظاهر الواقع ، فهى  
تقص عليها ما تقص ، وهى تغضب منها تارة وترضى عنها تارة ،  
أخرى ، وهى تعالجها إذا أصابها الضر ، وهى تتمهدها ليل نهار .

ولا يدخر الكاتب جهدا فى تصوير ما يسميه بحق « خلجات  
الأمومة » ، فينبأ الأم تتمثل طفلها عملاقا كبيرا له صولة وهيبة ،  
تتمثله فى الوقت نفسه رضيعا يقتدر إلى نديها ليلتمس عنده رحيق  
الحياة !

وينتقل بنا الكاتب مع الأم الشكلى ، إلى عالم الدنى والعرائس ،  
عودا على بدء . إذ تعود الأم سيرتها الأولى ، لا سلوة لها بعد  
بجميعها الفادحة إلا أن تلوذ بتلك الجوامد تخلع عليها صبغة الحياة  
التي ضمن بها الزمن على وليدها المرموق .

وينتهى بنا الأمر إلى الأم تهدد عروسا من قطن على مهد  
الطفل الفقيد ، ورجاة تهبط على حافة المهد ، متشبثة بأعواده ، يستبد  
بها نشيج موصول . وإنه لختام موفق تتجلى فيه يقظة الواقع ومرارة  
الحقيقة ، على الرغم من خداع النفس بالخيال الموهوم !

والقصة فيها لوامع من حقائق الحياة ، ومنازع النفس ، فى أسلوب  
يؤثر الجمال والتأنق لفظا وعبارة ، وكأنما الكاتب يغنى قصيدة  
أو يعزف لحنا ...

محمود تيمور

## أمومة حائرة

ضمنا هو الدار ذات عشية ، تترسل من ثرياته أضواء محتشمة  
هادئة تفيض على الحجرة مزاجا من السكينة والأمن ، وكأننا بين  
نقوشه المحلاة بالتبر الخالص ولوحاته الفنية الأصيلة في محراب  
الفن تتوسم الروعة والبهاء .

وأظهر ما في ذلك البهو لوحة لفنان عبقرى تمثل الأمومة في  
أوضح تعبير ، وقد انحنى إطارها المذهب على طفل يرتضع ثدى  
أمه الحنون ، وهى رائية إليه بنظرات زهو وإعجاب ، يرصع  
جبينها تألق كتلك البسمة المشرقة التى يطلقها الوجود يحى بها  
تباشير الصباح .

وجلسنا نتشرف أقداح القهوة ، ونعاود ما كنا نتداوله من  
أحاديث الفن وأهله .

فانبرى من بين المدعوين أحدهم يغمغم ، وهو مضطجع في  
جلسته ، وعيناه عالقتان باللوحة :

لم أجتل أروع من ذلك الرسم ... فيه يتآلف سمو الفن.  
وواقع الحياة ... أليست الأم هي ذلك النبع الفياض يتفجر  
منه رحيق الحياة ؟ .. أو ليس وليدها ذلك الجدول الرقراق.  
يحمل معنى الفتوة ، وينشر في مداره ومجراه روح الخلود ... ؟  
وعقبت سيدة البيت ، وهي تزجي ضحكة لينة عابثة :

مرحى لك ياسيدى الفيلسوف ... ماذا يفيد ذلك النبع.  
الفياض وهو يجرود برحيقه على الجدول الرقراق ؟ .. أكذوبة  
العيش ، وخدعة الدنيا ... ليس جدولك الرقراق إلا نذير  
الاضمحلال والضعف والفناء لذلك النبع المسلوب ... أهذا  
معنى الخلود ياسيدى ؟ ...

فقال لها محدثها ، ومازال رانيا إلى جدار البهو ، ينفث دخان  
لفافته ، فتعقد في سماء الحجرة غلائل من سحب لا تلبث أن تفتى :  
لاشك عندى سيدتى أن كل امرأة تحيا في باطن نفسها ماتحيا.  
على مطرح أنظارنا تلك الأم الفخور ... ألم تفتنى إلى ما يتوضح  
على عيها من رفاة ونعيم ؟ .. إنها تتوسم في هذا النعنع الرطب  
عمرًا جديدًا لها تتمثل فيه نضرة الربيع وشباب الحياة .

انظري إلى عينيها تتلألًا ، إلى وجهها يتطلق ، إلى بسمه على  
فورها تكشف عن ثقة ورضا واطمئنان ... هذه هي رسالة

المرأة . . . رسالة البعث ، رسالة البقاء ...  
فتجافت سيدة البيت عنه بنظراتها تهمهم :  
إننا نفتقر إلى ثالث يحسم ما بيننا من خلاف !  
وأقبلت علىّ تقول في صوت متراخي الذبرات :  
يسعدنى سيدى الطبيب أن أقف على رأيك فى هذا المشكل ...  
وكانت مفاجأة أذهلتنى شيئاً . . . وانسابت نظراتى إلى  
اللوحة مليتا فى مكانها العلىّ عسى أن تلهمنى رأى السديد .  
وانطلقت أسرح الفكر لحظات فيما سمعت ، فوثبت إلى ذا كرتى  
أشتات من الأحداث مرت بى فيما غبر من أيام ، وإذا أنا أتطلع  
إلى الجلع فأقول :  
سأقص عليكم قصة تراخى بها العهد ، غير أنها ما ثلة فى  
تفصيلاتها ودقائقها أراها وأحسها كأنما أشهدها فى يومى الحاضر ...  
لتغفروا لى أنى أكنتم الأسماء . . . بذلك يقضى علينا أدب المهنة .  
منذ سنين تقضت ، انعقدت بينى وبين أسرة من كرائم الأسر  
ألقة ، وتوثقت صعبة ، وكثيرا ما تتعدى الصلة بين الطبيب  
ومرضاه حد التعارف ، فتصبح صداقة وكيدة وودا مصفى .  
بيت القصيد فى أمرتى صبية بكرت إليها مشاعر الأمومة وهى  
طفلة لم تستكمل سنينها الخمس بعد ، فابتسمت للحياة ، يأنس سمعها

الغض بذلك اللحن الطروب ، لحن الأمومة الخالد ، وعاشت في  
حدائثها تترسل عليها تلك الأنعام العذبة الرائقة ، كأنها سواكب  
الطلل في الأسحار تلائم نابت الزهر ، أو كأنها مطالع الأضواء  
تداعب عصفورا في وكره لتنفض عنه خدر النعاس ، وتبعث فيه  
يقظة النهار الجديد .

وتوضحت خلجات الأمومة في مواقف عدة من حياة الصبية ،  
طورا بعد طور ، وعهدا بعد عهد .

كان أهلها يسارقون إليها النظر ، فيلفونها قد خلت إلى  
عراسها في ركن من أركان حجرتها الخاصة ، تولين الرعاية  
والحذب ، كأنها أم رؤوم تتعهد أطفالها بما يوفر لهم الراحة والنعيم .  
وما كاد ذوو القربى وغيرهم من الجيرة والصحب يتعلمون  
نبأ افتتاح الطفلة بالدمى والعرائس ، حتى أفاضوا عليها شكولا  
وألوانا من هذه التماثيل ، فاجتمع للطفلة من عرائس القطن والجلد  
والمطاط وغيره حشد كبير .

وعلى الرغم من تكرار الهدايا في نوعها الموحد وصنوفها  
المتشابهة ، كانت الصبية تتلقى الجديد منها بمشوب من الشغف ، كأنما  
يهدى إليها أول مرة .

كانت العروس تهدي إلى الطفلة دمية صامتة ساكنة لا حس

فيها ولا حراك، فإذا تقبلتها الطفلة أسرع إليها تتحدث، وأقبلت عليها تتعرف، فكأنما تنفخ فيها من روحها، ليستكمل خلقها، وتثبت فيها خفقة الحياة، فإذا الدمية الصموت ناطقة، وإذا العروس الجامدة خلق آخر يشعر ويحس، وإذا هي قد أخذت مكانها بين العرائس الصواحب يتناقض الحديث، ويستترسلن في ثرثرة ومعاينة.

وأفردت الطفلة لملكة العرائس ركنا من حجرتها، عمرته بما يلزم من أدوات الحياة كالنزين والتطيب، وأطلقت على كل من العرائس اسما تناديهن به...

استأثر بالطفلة ركنها الحبيب، تقضى فيه الساعات الطوال، فتستطيب في صحبة عرائسها الحياة، تستوى على مقعدها تسامر الدمي بما شاءت أن تسامرها به من قصص ونوادر وأفاكيه، وهي تستدرّ خيالها الساذج في التأليف والتصنيف، فلا تلبث أن ترسم صورة منمقة للشاطر محمد، مصر وفا إلى مغامراته الخيرية، يدير المعارك، ويدك الحصون، ويفتح القلاع، فتعزله الجباه، وتخزله الجبابرة، ولا تزال به في ساحة الوغى، يكتب له نصر بعد نصر، حتى يثوب إلى عرشه، عليه أكاليل النار، محفوقا بالمباهلة والفخار.. وإن شعرت الطفلة بأن عمّار الركن الحبيب تشغب عليها

أطلقت في خضم الشغب والضوضاء بقصة أمنا الغولة ، فما إن  
تنفجر القصة بما فيها من تخويف و ترهيب ، حتى يعاود الركن أمن  
وسلام ...

وكثيراً ما نفضت الطفلة لصويحيباتها العرائس ذات نفسها ،  
تكرر عليهن ما تلقطته من أحاديث أمها وخالتها ومريبتها ، وما تقع  
هيناها عليه من أحداث يومها الطويل ، وكثيراً ما أقبلت على ركنها  
تسهر على راحة عرائسها ، فتعصى الوقت حياهن ، تكوى ثوب  
هذه ، وترجل شعر تلك ، وتتعهد سائرهن بألوان من التدبير ...  
وترات لي الصبية ذات يوم مندفة الخطو ، تقصد مجلس أمها  
وتبسط لها دمية مهشمة الأوصال تستعين بها جراح ، وإذا هي تقول  
وفي صوتها نبرات حزن ، وفي عيونها بريق الدموع :  
لابد من استدعاء الطبيب ...

فابتسمت أمها لها تطيب خاطرها ، وهي تشير إلى وفي نظراتها  
دعابة :

ألم ترى الطبيب ... ؟ لقد استدعيت له روسك المسكينة ...  
اعرضيها عليه ...

فقطلعت إلى الطفلة أقول في اهتمام مصنوع :  
أريني دميته . . ما لها ؟ ...



فقدت منى في تهيّب تعرض على الدمية وهى تهمهم :  
لقد سقطت عن المنضدة ، فانسكس ذراعها ...  
واسترسلت تغمغم كلمات يقطعها النشيج ، ثم ، الكت تقول  
فى صوت حنون :

لا تقس عليها ... كن بها رحيما ... لأنها عروس طيبة ...  
وتناولت منها الدمية ، وعالجت وصل ذراعها الكسيرة ، حتى  
أفاحت ، والطفلة محدقة إلى " ، ملء عينيها قلق واهتياج .  
فلما تبينت عروسها قد ردت إليها العافية جذبتها منى تحتضنها ،  
وقد تألق وجهها ذلك التألق الذى تعودت أن ألمحه يرتسم على  
أسارير الأمهات حين يستبشرون بسلامة أطفالهن من الأمراض  
والأخطار ...

ومرغان ما رأيت الطفلة تهرب بدميتها وثابة الخطو ،  
فاستوقفتها أمها تقول :

ألا تشكرين السيد الطيب ؟ ... إنه جبر ذراع صبيتك ... لأنه  
ردها إليك سليمة ... حرى بك أن تقبله قبله الشكر وعرفان الجليل .  
فرجعت إلى ، ومست جانب وجهى بقبلة خاطفة ، وهى تهمهم  
فى خجل واستحياء :

شكراً ... ألف شكر ...

فحملتها بين يديّ أقبلها في بشاشة وترحيب ، وأنا أوصيها بأن  
تحوط الدمية الجريح بما يجب من عناية ، مجتهداً في إكساب ملامحي  
هيئة الجدد ، كما أفعل حين أوصي أهل المريض بالمريض سواء بسواء .  
فاستدارت عجلى تصدف عن البهو ، وهي تخاطب دميّتها في لهجة  
تتجلى فيها الإمرة والسيطرة المشفوعة بالخوف والإشفاق :

أرأيت ما نالك من الشغب؟.. لعلك ترتدين ... إياك والعبث .  
مرة أخرى ... سلبت ، وبعد الشر هناك ... ستنامين معي . .  
والتفتت الأم إلىّ تقول في صوت كأنه المناجاة :

إني من طفلي في حيرة . . . أخشى ما أخشاه لإسرافها في هذه  
العاطفة ... إنها أم ياعزيزي في جميع خليجاتها وأحاسيسها . . .  
تصور أنها تحتضن في كل ليلة عروساً من عرائسها ، فتوزع عليهن  
لياليها ، لكل منهن نوبة ، كأنما توزع عليهن برها وحنانها بالسوية . .  
أمّ بين أولادها . . .

— لا تخشى مغبة تلك العاطفة ... السن كفيلة بالتخفيف من .  
حسرتها .

فقالت :

أهي تخف على علو السن أم تحتد؟

فاجبتها :

أعنى أنها تنضج مع الأيام ... فلا يكون لها ذلك المظهر  
الطفولي الذي ترين .

فعقبت تقول :

ألا نخشى نضج هذه العاطفة قبل الأوان ، فيكون لذلك أثر في  
مستقبل الصغيرة غير مأمون ؟

والحق أنى كستمت عن الأم قلقى مما أستشفه وراء الأفق  
البعيد في غياب السنين .

أقبلت أسائل نفسى : ماذا يكون موقف تلك الأم المبكرة في  
ملتطم الحياة ومجاهل الأيام ؟ .

وواصل الزمن سيره الدءوب يزد الفتاة من بهاء ونماء ، لقد  
صاغتها يد التطور حليلة مكتملة الوضوح . . . فتاة مجتمع راقية  
تشع منها الأنوثة بضة الالهاب .

كانت تلك الزهرة فيما يتجلى من تصرفاتها تفصح عن عاطفة  
جياشة ، كأنها قبسة قدسية تتوقد لا يخبو لها أوار .

آن لهذا النبع الفياض أن تتفجر منه الحياة ، وأن يترامى  
منه جدول رقرق كله صفاء ونقاء .

وربما جاذبنا الفتاة أطراف الحديث في شأن الزواج ، فتنبعث  
للبناقشة في يقظة وفعلنة وحسن تقدير ، إن سئلت : ماذا تنشئ في

حياتها الزوجية؟ أجايتك في نشوة وإخلاص : طفلا أرعاه ...  
طفلا أحسن تنشئته ... طفلا أفرغ له بكل ما أملك من  
المسعاد وتنعيم .

تزوجت الفتاة .

وأقبل عليها زوجها يساقيا كأس الهناء ، ويطارحها متعة  
الحب ، فابعدت تشيد صرح الأمانى ، وتنمق عش الأحلام .  
وتوالت بها الأعوام دون أن ترف في أحشائها خلجة حياة  
للجنين المنشود ، فجن جنونها ، وتناوحت في رأسها الفكر ،  
وحجبت عينيها غشاوة نحت عن أنظارها ما تمثلته من حياتها  
الزوجية : روضة فيحاء مورقة ملء أدراجها لحن الطيور المفردة .  
أتلث عقيما لا تنجب ، كتلك الشجرة العجفاء ، لا ظل لها  
ولا ثمر ... ؟

أستحيل دنياها صحراء مواتا تعيث فيها الوحشة والخراب ،  
وتتاورها سموم الرياح ، وتصبح هى في جحيم تلك الصحراء حصاة  
يشقىها اليبس والجفاف ؟ .

لا صبر لها على عيش يطبق عليه الصمت والظلام ...  
ولم تدخر جهدا ولا وسعا في التنقل بين أيدي الأطباء ، غير  
مقتصدة في مال يئذل ، ولا مقصرة في استجابة لنهيحة ترعى ...

لقد ضاقت هي بفضاء الأرض ، وبعلم الأرض ، وبطب  
الأرض . . . فلا مندوحة لها إلا أن تبسط كفها تستندى السماء .  
ويوما برقت للزوجة ظنون آملة مستبشرة ، ولم تلبث هذه  
الظنون أن تحقق صدقها ، وبأن على يقين أن الزوجة تنفوى  
على حمل .

وكان حملها شغلها الشاغل في يومها الأطول ، وحملها الحافل  
في نومها البهيج ، تحرص أشد الحرص على جنينها حين تخطو وحين  
تميل ، خشية عليه ، وحيطة له ، وإيثارا لعافيته المبتغاة .  
وإذا خلت إلى نفسها تستمرى متعة حملها ، تطلعت فيما بين  
جنينها ، وقد علا تنفخه ، فتنعم النظر كأنما هي تود أن تستجلي  
جنينها المحبوب .

لا يقع في بالها أن يكون ذكرا أو أنثى .  
فليكن ما يكون . . . حسبها من متاع الدنيا وفتنة الوجود  
أن يمرح بين يديها وليد .  
وبدأت تحس بالحياة تدب في أحشائها النامية ، فكلما تقلب  
الجنين يرف ، لم تتمالك أن تتحير في عينيها دموع الين  
والتفاؤل والسرور .

واختلفت الفتاة إلى متاجر الثياب والزينة ، تتخير لطفلها

المنتظر ألوانا من الأكسية والطرف في تألق وسخاء . إن طفلها  
جدير بأن يحوطه الجمال في كل شيء . . . في اسمه ، في زيه ،  
في زيلته . . .

لتوفرن له الهدوء والرفاهة والإسعاد . . .  
وتبعد الزوجة أشواطاً على أجنحة الخيال ، فتتمثل نفسها وقد  
حملت في حضنها لفيفة معطرة تختلج ، وهي تسبغ عليها دفء  
الحنان من صدر يهوج فيه الحب الفياض . . .  
وتنعطف عليه تتوسم جبينه المتألق ، وقد رنحها زهو  
ونشوة واستمتاع .

وتسترسل في خيالها تصني إلى صراخ الطفل الحبيب . . .  
صراخ النشاط والحركة والتفتح للحياة .  
لسوف تأنس بأنات الوليد ، وما يبعثه من بكاء وصياح . . .  
لسوف يقع ذلك من سمعها موقع الروعة ، فما بكاء الطفل .  
إلا لحن الوجود وأنشودة الخلود .

فليتصايح طفلها ما طاب له الصياح !  
وتتغالى الزوجة في خيالها ، فيترامى طفلها لا تكاد تلده حتى .  
يصبح عملاقاً في مهده ، قادراً أن يدبر ملكاً ، ويسوس دولة . . .  
لقد أضى مهيب الجانب ، تزين رجولته قسامة ووسامة .

نساء الأرض تدب في ضراعة وتذلل ، لىكى تستجدى منه  
تظرة الرضا والإيثار ، ولكن العملاق لا يلبث أن يعود طفلا  
يبحث بصرخاته مهتز الشفتين يطلب الغذاء ، فتلقمه الأم ثديها ،  
وتحنو عليه بذراعها ، فيرتضع فى طمأنينة وسكينة واستمراء .

بذلك تنتهى رحلة الزوجة فى عالم الأطفاف ترطب بها قلبها  
الوهران ، ثم تنجاب عنها الأوهام ، وهى ما برحت فى مجلسها  
مدلية بأنظارها فيما بين جنينها تتوهم وتستشف ...

إنها قلقة تترقب ... أذنها عطشى إلى السماع .. عينها عطشى  
إلى التطلع ... ذراعها عطشى إلى الالتفاف ... ثديها عطشى  
إلى الارتشاف ... جوارحها جميعا تهفو إلى تلك الليفة الخافقة  
الصاخبة تشعرها بهجة الحياة ويقظة الوجود ...

طفلمها الحبيب ... لن تكون له مرضع سواها ... لن  
يخلو به غيرها ... ستفرد له وقتها أجمع ، وحنانها أجمع ...  
لتهين له حياتها جمعا ...

وأقبل اليوم الموعود ...

فلما جاءها المخاض دعتى أن أشرف عليها فى مستشفى التوليد ،  
وشد ما أوصتنى بطفلمها لا أسوءه ولا أمسه بأذى .

وتوالت الساعات صعبا تعاني فيها الزوجة تباريح الألم ،

والجنين عنيد لا يتحمل ، والطب يذل وسائله السلبية دون جدوى .  
وحانت اللحظة الحاسمة ، فلم يكن بد من إجلاء الجنين على  
أى نحو يكون ، استخلاصا للأم من براثن الخطر .  
وانحصرت مهمتى من بعد فى أن أنهى إلى الأم نبأ فقدانها  
الطفل المنتظر .

كنت بجانبها عندما أفاقت تتحسس بعينها اللبيفة ، مرهفة أذنها  
إلى تلك الآلات التى طالما ترنمت بها فى عالم الرؤى والأوهام ،  
فلما لم تجد ما يناعى روحها العطشى رمقتى بنظرة تريب تسألنى :  
أين الطفل ؟ ...

وخيل إلى أنى قادر على مكاشفتها بالسر الأليم ، فاضطرب  
لسانى لا يفصح ولا يبين ، وجعلت أخاط فى الجواب ، فتطلعت إلى  
والخيرة بادية عليها تستكنه ما بطن من أمرى ، وإذا بى على حالى  
من السهوم والجمود ، فصرخت لى :

أين طفلى ؟ ... أفقدته ؟ ... أمات ؟ ...

وما تمالكت أن أطرق ، والدنيا تعنيق حياى ، وألفيتنى أشير  
إلى الممرضة إشارة تفهمها ، فأسرعت إلى المخدر تحقن به الأم التكللى .

ولما بلغت من حديثى ذلك المبلغ ، ضربت ركبتي يدي فى



سكتة قصيرة ، فسمعت سيدة البيت تهمهم في صوت حسير :  
مسكينة . . لا بد أنها جنت .. من كان في مثل حالها لا يثبت له  
جنان .

فشخصت إليها أعواد قصتي ، وقد أخرجت لفاقة تبغ من.  
علبتي أنفك دخانها جزافا ، وأتناول قدح القهوة أرشف منه :  
أمضت الشكلى أيامها لا تريم عشاها ، يتنازعها وحشة وانقباض  
ووجوم ، وفي صدرها يشب ضرام الحزن والتلف على ذلك  
العصفور الذى ارتحل ، ولن يعود لكى يمزق الصمت بتغريده.  
الآنيس ....

وأرادنى الصيف على أن أرتحل ...  
واستأنفت عملى بعد الغيبة ، فإذا حاضنة الزوجة تزورنى.  
لنشكو إلى بعض ما تجد ، فبادرتها أسأئها عن ربة البيت : كيف  
حالتها ؟ فاسترسلت تقول :

لا شغل لها فى الصباح إلا أن تتخذ مقعداً حياى النافذة تسرح  
منه النظر ، كأنها على موعد من زائر كريم ، ترتقب شبحه فى الأفق  
البعيد ، وعن كشب منها سلة حافلة بقطع من النسيج وكرات من  
الخياط لا تفتأ أناملها تصنع منها الأكسية الصغيرة واللقاتف  
الدقيقة ...

وفي سحرة الليل تخفق قدماها في حجرة النوم متعيرة، وتتوخي  
صوان الثياب مشبوبة الوجدان ، فتستخرج منه عروسا من قطن  
توسدها حضنها وتهدهدها ساعة، ولاتليث أن تكسوها بما نسجته  
لها من أثواب، حتى إذا استكملت لها زيتتها حملتها إلى مهد الطفل ،  
فأرقدتها فيه ، واتخذت مجلسها بجانبه تهزه في رفق ، وترنم بأغنية  
هادئة الأنغام ... ويتخافت الصوت رويداً رويداً ، حتى يخيم على  
الحجرة صمت مرهوب، فإذا بها على حين فجأة تهبط على حافة المهد  
متشبثة بأعواده ، وقد اتتايتها رعدة ، واستبد بها نشيج جياش...

## أطيقاق

أفناء الحب معقول ؟...

أصيح من طينة البشر لتتاله يد العفاء ؟...

أفى مكنة هذا الأثير الشفاف ، أثير الحب ، أن ينفذ إلى جوهر

النفس ، ليس للبadiات عليه طول ولا سلطان ؟...

أسئلة فاه بها صديق ، حينما كنا جالسين فى ذلك المنتدى الذى

اصطفيناه على طرف من أطراف القاهرة ، نستمرى فيه أويقات

مؤانسة وإمتاع ..

وما هى إلا أن شعرت كأن زورق الأحلام ينساب بى على

عباب الأفق البعيد ، حتى يسلمنى فى تطوافه إلى مرفأ الذكريات .

ويرسو بى الزورق فى أمن وسلام .

وأهبط درج الستين ، أستبين ساحل الأحداث .

وانصرفت أوقف بدبى رواقه الأطياف ، فصلصت تخرج

من محابسها ، فاستدنيتهما أتصفح بها ماضى العمر وسالف الأيام .

هأنذا في قلب و باريس ، الخفاق ، أتطلع إلى مجالها في تيمن .  
وابتهاج .

أعجوبة الدنيا « باريس » ... ليست بطولتها وقفا على  
الملهاة والمسلاة ... في مقدورها أن توافيك أيضا ببطولة المأساة .  
رائعة هي في صوغ الابتسام على الشفاء ، ورائعة هي كذلك  
حين تثير في المآقي سواكب الدموع ... إن الأقدار لتختارها .  
منعثة رحيمة تعرض عليها مسرحياتها الخالدة ...  
أدعوك أيها الرفيق أن تشاركني النظر والتفرج فيما أنا  
عارضه عليك ..

اتنق بين النظارة مكانا يروقك ، وألق بالك لتستوعب  
ما يمر بك من مشاهد ومرئيات .  
هاك النور يتضاءل ويتكش .

وهاك الستار ينحسر عن المنصة المرموقة ، تفصح لك عما بها  
من شئون وشجون :

نرمم رحيب يتشعث في أرجائه الأثاث .  
نور متخشع يصاول الظلام في مشقة وجهه .  
موقد بادى القدم ، يشع منه دفء واهن يبغي أن يرد غائلة  
الشتاء في عجز وقنوط .

لوحات مصورة يغص بها المرسم ، بعض منها حافل الزخرف والبرقشة ، وبعض آخر ما زال في طور الصقل والتزيين .

وفي زحمة ذلك المرسم تطالعنا فتاة في ميعة الصبا وبردة الشباب ، تترامى لك بمددة على سرير المرض ، وجهها محتقن ، وجبينها متلهب ، وصدرها دائب التقرز ، أما جسدها المديد فقد تاهت معالنه في طيات دثار فضفاض .

وتأخذ عينك فيمن تأخذ رجلا أسن ، لا يعييك أن تعرف أنه الطبيب المداوى يتبين أمر المريضة بكل ما وسعه من حيلة ووسيلة ، وقد تلاحظه منهم كما يتكشف .  
فما يلبث أن يشير عليها أن تقيم صدرها لكي يتعرف ، وهو يقول :

بقي علينا أن نتفحص الظهر . . . لا أفلقك بعد ذلك .  
فتحاملت الفتاة على نفسها تجلس ، وكشفت عن ظهرها ،  
فانكب الطبيب يسمع ، وهو يقول لها في لهجة الأمر :  
تنفسى . . . تنفسى . . . اسعلى . . مرة أخرى . . . الأخيرة .  
فتنخرط الفتاة في زفير وشهيق ، وقد عاجلها الإعياء ، وإذا  
هى ينتابها سعال ، وتلتظمها رعشة تصطك منها الأعضاء ، فيمتف  
بها الطبيب يستمهلها لحظات :

مرة أخرى . . . الأخيرة .

فلاتمالك أن تهوى على فراشها خائرة العزم ، محتبسة الانفاس ،  
ويمضى الطبيب غير مبال يستكمل الفحص والاكتناه .  
ليست المنصة مقصورة على الطبيب وفتاته ، فهناك ثالث  
يسترعى نظرك ، وهو ذلك الفتى السامق العود ، المتين البناء ،  
المقطب ما بين حاجبيه ، يقف عن كشب من السرير مضطربا في  
وقفته ، يتعجل ما ينتهى إليه رأى الطبيب .  
إن القدر قد اختاره في مسرحيته ليكون للفتاة خلا ويا ،  
بل عاشقا ولهان .

ورفع الطبيب رأسه ، ونزع السماعة عن أذنيه ، ثم تناول من  
حقيبته الصغرى قلبه ودفتره ، وحنى هامته يدون أو امره ، وأقبل  
عليه الفتى يسأله والخيرة تبدو عليه :  
ما بها يا سيدى ؟

فيرده الطبيب بإشارة يقول :  
سأطلعك على كل شىء . . . انتظر . . . إني أكتب لك  
تذكرة الدوا .

وانصرف إلى ورقته يعاود الكتابة ، على حين انتحى الفتى  
ناحية فتاته يدثرها ، ويدمث لها مخدعها .

وتسبح الطيب بهمهم ، وهو يزابل مجلسه ، يأخذ بيد  
الفتى إلى مكان قصي .

لا بد من إحضار الدواء على الفور . . . إن الرئة مصابة ببرد  
حاد . . . إن لم تعالج فتاتك فليست مسئولاً عن العقبى .  
وناوله التذكرة ، وما زال يثرثر :

حاذر التهاون . . . لا بد من أخذ الدواء . . . في مواعيده . . .  
كما رسمته لك .

ورجع إلى المريضة يهمس لها في لهجة وادعة وعلى فمه ترف  
ابتسامة مهزولة :

الأمر هين . . . بضعة أيام من الراحة كافية لنزيل عنك  
المرض ، وتعيد إليك الصحة كاملة . . . سأعودك غدا . . . إنى  
وطيد الأمل فى أن أراك أحسن حالا . . . سعد مساؤك .

وربت يدها ، ثم استدار يللم أشياءه ويودعها الحقيبة ، ثم  
دلف يخب فى معطفه السابع نحو الباب ، وهو يقول للفتى فى لهجة  
حازمة وصوت غير جهوري :

لا بد أن تعنى بها . . . طب مساء سيدى !  
فرد الفتى التحية ، وهو ما زال عاقداً ما بين حاجبيه ، وما إن  
غيب الباب الطيب حتى صدف الفتى قافلاً إلى فتاته يجاهد فى دفع

اضطرابه ، ويكسب وجهه المغضن أمارات بشر مصنوع ...  
ومثل حيال مخدع المريضة يحدد في وجهها المحقق بعين قلقة  
حيرى ، ثم جلس على حافة السرير ، وطفق يمسح على رأسها في  
ترفق وإشفاق ، فتحاملت الفتاة تلقى عليه نظرات تتجلى فيها  
الدماثة والرائق ، وأمسكت يده تضغطها وهى تقول بجهد الصوت  
راعشة النبرات :

أشكر لك ما صنعت وما تصنع .. الحق أنى أصبحت عبئاً  
عليك... أما سئمت؟... الأخرى بك أن تنقلنى إلى المستشفى ...  
إلى دار الطب والعلاج .

فهمهم الفتى فى طهجة استعطاف :  
الأخرى بك أن تنامى .. لا تفكرى فى شيء غير صحتك... إنى  
ذاهب فى طلب الدواء .. بضع دقائق .. إنى أعبدك ... اسلمى .  
وانحنى على جبينها يطبع عليه قبلة حارة .

فانبعثت الفتاة تتابع الحديث ، وسرعان ما عاودها السعال يخنق  
منها الأنفاس ، فتهدجت نبراتهما ، وتعثرت الكلمات على شفثتها ،  
وظفقت تسعل سعالاً أجش مرهوباً ، فقدم الفتى :  
أنت إلى الراحة أحوج ، فلا تسرفى على نفسك بالكلام ...  
كفى ... نامى ... حرستك السماء .



فأسبلت جفنيها تتعجل المنام...

وزايل الفتى مكانه من السرير، يسارق الخطأ في مسطرة  
واحتراس، يعضى إلى أقصى الحجرة، متمايلا في مشيته، يجر نفسه  
جرأ، حزين الصدر، ثائر النفس، شارد الخطرات...  
وطالعه صوان الأنبذة العجوز في ركنه العتيد، تتناول منه  
إلى الفتى نظرات تودد وملاطفة، تهيب به أن يستعين بما ضمنته  
حناياهم من بقايا الرحيق على تفريج ما به من كربة وضجر.

وامتدت يد الفتى إليه، وطفقت تعبت بالزجاجات، فتصيدت  
قنينة النبيذ، فتناولها يترع منها الكأس، وراح يعبها عبا. وبينما  
هو بهم أن يملأ الكأس ثانية إذ به يسمع سحلة خشنة تتحشرج في  
حلق «سوزان»، وتعالى أنينها تشكو وتتوجع، ثم استبد بها نشيج  
احتبست منه أنفاسها، فرمى الفتى بالكأس بالغ الحلق، وما لبث  
أن ركل كسارها ركلة عنيفة، فتبعثرت شظاياها يمنة ويسرة، وخف  
هو من فوره إلى النافذة نافر الجفنين...

الدواء... لابد من الدواء... ما أخرجها إلى عناية... الخطر  
من التهاون... ولكن كيف السبيل إلى ثمن الدواء؟...

ليس في يد الفتى شيء من المال... أف للفاقة والإفلاس...  
ماذا يصنع؟... أيتها السماء اهديه الطريق... طريق الخلاص.

سيهبط دونك الستار أيها الرفيق هنيئة يحجب عنك ذلك،  
المشهد البائس ، من مريضة تئن ، وحبيب محزون مفلس ، غاوى.  
الوافض .

هذه مهلة دقائق تسرى عنك ، وتزيل من مخيلتك ذلك المشهد  
الشاجى ، وقد ألقيت إليك صحيفة البرنامج تكشف من حياة القصة  
ما لا تكشفه منصة المسرح ، فأقرأ من صحيفتك ما تستروح به ،  
وما تستجلى منه نماء الحياة ... هذه صفحة تريك كيف كان مطلع  
التواصل بين الحبيبين ...

لا جديد فى الحب ...

نشأت العلاقة بينهما على سنة الغرام بين العشاق ...

لقاء على غير عمد ...

كلمات قلائل تفضى إلى تعارف روحيين ...

روابط من الود تستوثق ...

هيام جاح ليس منه محيص ...

فى شارع من شوارع دباريس ، جيشا الحركة ، يهنيق بالسابلة ،

كانت الفتاة تخطو خطاها تخترق الطريق ...

وإذا سيارة متهورة توشك أن تنقض عليها ، لولا شجاعة فتى

جسور يخف إليها فيستنقذها من الصدمة القاضية بين تهلل من جمع

السابلة والكبار ، فترتمى على صدره الفتاة مذعورة ، وقد رجف قلبها وتملكها اضطراب ، ويدعوها الفتى إلى مشرب تستريح فيه بعض الوقت فلا تتمنع ، ويدور بينهما حديث أنيس ، فينقصد بينهما تعارف وورداد ، وتكشف للفتاة شخصية المنقذ الجريء . . .

فتعلم أنه «جاك دو فال» ... شاب قضى عهد صباه في الجنوب ، توارقا إلى الفن ، فما إن اشتد ساعده حتى احترف التصوير والنحت ، وذلك هو الآن يعيش في العاصمة الزهراء بفرنسه وفننه .

ويعلم الفتى من أمر فتاته أنها راقصة من أهل «باريس» تعرض رقصاتها في سوامر الليل . . .

وقيضت لهما الأقدار أن يترشفا معا من ذلك النبع الخالد ، فما استشعرا ندوة القدح تلامس شفاههما ، وشذا الشراب يعطر أنفاسهما ، حتى استحوذ عليهما شعور غامض ملك عليهما أمرهما كله ، وأيقنا بأن كلا منهما قد وجد تكملته المفقودة التي تعيد إليه جمال العيش وسعادة الحياة .

فاستقر عزمهما على أن يظلهما سقف واحد ، وأن تحتويهما معيشة مشتركة ، فما لبثت أن انتقلت إلى مرسمه تقاسمه المعاش . . . وتألفت لهما الأيام ... هو ناشط في مرسمه ، بارع في فننه ، يدع ويروع ، وتلوح له تباشير الزواج ، وهى إلى عملها في

سوامر الليل ترفح أعطافها طمأنينة واستقرار .  
ويوما أسند إليها مدير الفرقة رقصة من لون جديد ، فتبدت  
للنظارة في ثوبها الألاق تدور في مدار الرقص ، لاوية خصرها ،  
ثانية ذراعيها ، تستهوى الأنظار في حمية وحماس .  
لقد أبدعت ...

كانت تشعر بكل خلجة تؤديها ، وهي في حلبة المرقص تنتشى  
بالأنغام ، فلقيت من جمهرة المتفرجين كل إعجاب ، حتى لقد  
اضطرت إلى أن تعيد الرقصة مرات ومرات .  
وكان دجاك ، ينتظر فراغها في أعقاب الليل ، فانطلقت معه  
إلى الطريق مشبوبة النفس ، تعبر له في حديث جياش عما يحتاج في  
صدرها من مباحج النصر ونشوة المجد ، وما زال رأسها يترجع  
فيه دوى التصفيق والهتاف .

ولبت دجاك ، ود سوزان ، في تجوالهما ساعة ، والجو لاسع  
البرد ، وما كانت لتطيق في حمية الحديث والتعبير أن تنق لسعة  
الهواء بمزيد من الكساء .

وبلغ الحبيبان دارهما في مبرق الصبح ، فنامت د سوزان ،  
تغتالها الحى .

لقد أرتك منصة المسرح موقف الفتى والطبيب من الحبيبة

المريضة ، وانسدل الستار والفق مائل حيال النافذة يدلى بأنظاره  
إلى عرض الشارع ، يتوسم أطراف الذكريات ، حينما كان هو  
و « سوزان » ينعمان بساعات أمن وسلام . . .

كم من مرة ذرعا معا ذلك الطريق جنبا إلى جنب ، تستوقفه  
صاحبتة أمام وجهات المتاجر ، تستعرض ثوبا أو فروا أو معطفا  
أو حقيبة بما يلزم للتأنق والآهية . .  
إن « سوزان » فتاة مفتونة بالجمال ، تختلب لبها الطرائف  
والالطاف . . .

إن صدره يمور ، ورأسه تمعج فيه الفكر ، كلما توسم صاحبتة  
طريحة الفراش تتوجع ، وقد تعاصى عليه ثمن الدواء . . .  
لو أنه أكل تلك اللوحات المبعثرة في مرسومه ، لاستطاع  
أن يجد من ضيقته فرجا . . .

وارتد الفتى عن النافذة ، وقد ضجر بما يتبدى في الطريق من  
فورة ونشطة ومراح . . .  
لا بد من إحضار الدواء . . . لا بد . . .  
ليبين شيئا . . .

وطمح بعينيه يمتة ويسرة يستوعب ما يحيط به من رسوم  
ونقوش وأثاث ، واستقر نظره في تطوافه عند لوحة تجلو

«سوزان» ، فى رقصة من رقصاتها الفواتن ، تلتمع عيناها ،  
ويشرق حياها ...

لأنها كاملة الصقل والطلاء ...

يا لها من مغنم ...

والتمعت فى رأسه بروق الأمل ، وهتف به من أعماق قلبه .  
ها تف يهمس له :

هذا سبيل الخلاص ، عليك به ، لا تنردد ...

أيملك أن يتصرف فى هذه اللوحة العريضة ؟ ...

لقد أهداها إلى «سوزان» ، فأصبحت خالصة لها ، خاصة

بها ... وهى التى تملك منها زمام البيع والكسب .

واضطرعت الفكرة والعاطفة ، وبقى لحظة بينهما مقسما ،

غير أن الحاجة استحثته فى طريقه ، فأنزل الصورة من مكانها

المروق على الجدار ، وسارع باللوحة يطلب الطريق ، لا يلوى

على شئ ...

وتتابع القراءة فى صحيفة البرنامج أيها الرفيق ، فتعرف أن

فتانا ظل مهرولا تسوقه قدماء فى مسالك ضيق يقبع فيه سائوت

اعتاد أن يبيعه ألواح ...

وتوقف صاحبنا يقرأ فى دهشة لافتة صغيرة الحجم علقت

على باب الخانوت ، وكتب عليها تلك العبارة المقتضبة : المحل  
مغلق لسبب طارىء . .

كانت تلك اللافتة بمثابة الغدّارة في يد القدر صوبها إلى قلب  
الفتى يصيب بها منه مقتلاً ، فارتد على عقبيه نمرق نياط قلبه حسرة ،  
وانبعث يمرق في الطرقات والدروب مبعثرة خطاه ، كأنه القذيفة  
المدمرة أطلقت تتحين ساعة التفجر لتفنى في فرقة مدوية  
وتمزيق مرهوب . . .

وهنا تحلحل القدر يتمطى ليرعى الفتى من عليائه بنظرة إشفاق ،  
وأما إليه يهديه السبيل ، كأنه شرطى المرور يشير بعصاه ليرشد  
السالكين إلى طريق النجاة وبر السلام .

ألفى الفتى نفسه أمام مشرب تملكه « مدام مارتين » ، وهو  
من مشارب « باريس » العتاق ، يتكش على استحياء بما يتألب  
عليه من أبنية جدد شواهد . . .

لعل « مدام مارتين » تعينه على أمره العسر . . .  
وهم الفتى أن يدخل ، وإذا لملة من السكرى يصدمونه صادفين  
عن المشرب في خطا مترنحة ، وقد بعثوا من حناجرهم أنا شيد  
مهوشة النغم صاخبة الإيقاع .

وانثنى عليه أحدهم يحماق فيه متعوجا في وقفته ، وما عثم أن

رماه بقوله :

فنان مفلس لاريب .

فتصايح الباقون يقولون :

وقانا الله الفن . . . فنى البعد عنه مغنم وإسعاد .

وزايلوا باب المشرب فى صخب وضجيج يبتعدون .

وشيعهم الفتى بنظرة نكراه ، وكأنه بهم يصيح : أفى الحياة

إسعاد أيها الأغنياء . . ؟

واعتدل يولى وجهه دخيلة المشرب ، مهتاج النفس ، وركل

الباب ، فتشاب مصرعاه . . .

كنى ما قرأت فى النشرة من سطور . . .

أجراس المسرح تطن تدعوك إلى عود . . .

هاك المنصة فى أضوائها الخواشع . . .

المشرب يغص بأهل الحظ تتمتع فى أرجائه سحائب الدخان ،

كأنما سكرت تلك السحائب بتلك الأنفاس المخمورة ، فازدادت

من تراقص وترنح واختيال . . .

سقاة المشرب فى جيئة وذهوب ، توافى المناضد بالاقداح

والأطباق . . .

رواد الخانة متغمسون فى الشراب ولعب الورق فى مراح وضجيج .



الفتى حائر الخطو ، زائف البصر ...  
« مدام مارتين ، ربة المشرب تلهف الفتى فتقوم إليه فى جرما  
البدن ، ترف على شفيتها ابتسامة ، وهى تصيح متلهلة :  
أهلا بالصديق ..

فرد الفتى عليها التحية ، غير أن المرأة فطنت إلى لوايح تلك  
النفس المحطمة ، وما كان يعز عليها أن تظن إلى ذلك من ضيفها  
الطارىء ، وهى الخيرة بأطوار الناس ، وما تنطوى عليه جنوبيهم  
من أشجان وهموم ، وتطلعت إليه تقول :  
أرى عليك سماء القلق والتحير ... ألم أخبرك من قبل أنى  
تواقة إلى الفن ... أحب أهله ... أحبه أن يشاركونى حياتى  
هذه ... لماذا تأخرت عنى ؟ ... تعال معى ... قص على ما يملك  
عليك نفسك ...

وانقبذت به المرأة مكانا فى أقصى الحانة ، فأخذ يجلسه حياها  
صامتا عبوس الأسارير ، على حين صفقت المرأة تنادى :  
« بيير ، قنينة نبيذ لصديقنا الفنان .  
ثم أقبلت عليه تحد إليه النظر ، وصوتها المنغم يسأله :  
أين «سوزان» ، يادجاك ، ... مالى أراك كإني النفس ، محطم  
الأعصاب ؟ ... أئمة جديد ؟ ... صارحنى ...

واضطرب الفتى فى جلسته ، وتناول الكبأس يفرغها فى فمه ،  
وقد تجهمت أساريه ، وتشعثت نظراته ، وغنم :

« سوزان » مريضة ... ثمن الدواء

وتلاعب بلوحته فى لفائفها ، وهو يهمس :

أيطيب لك أن تشتري هذه الصورة ؟ لنى فى حاجة إلى المال ...  
وانقتل يفرض عن اللوحة لفائف الورق يعرضها على المرأة  
وهو يهمهم : إنما «سوزان» ... الدواء ...

فصغطت يده تطرى براعة التصوير ، وهى تردد :

ما أجملها لوحة ... سترى ... تمهل ... لا تحمل للأمر هما ...  
دعنى أنصرف ...

وانطلق الفكر بالمرأة هنيئة ، ومالبثت أن اقتلعت جرمها  
من المقعد ، وعجلت إلى بهرة المشرب تصيح بالحاضرين ، وقدلوحت  
بالصورة :

سادق ... انظروا ... تحفة رائعة ... هل لكم فى اقتنائها ؟ ...  
وشخصت الأنظار إلى اللوحة تتفحص ، وساد الحانة سكون ...

فصاحت المرأة تحضهم ، وتثير فيهم الحمية والحماس :

هيا يا كرام ... فرصة لا تعوض ...

فبادر صوت يخنش مضموا الصورة بثمان بخس ، فأردف

صائح يزيد في الثمن ، وتبعه ثالث ورابع وخامس يتسامون بشمن الصورة شيئاً بعد شيء ، وانقلب المشرب حلقة مزيدة تتضارب فيها الأرقام وتتنافس الأصوات ، وتقدمات المرأة خطوتين مشرنية يعادو صوتهما على صوت القوم ، وهي تعرض ثمنها أرفع بما بذلوا جميعاً ، والفتى في مجلسه يكرع من قدح النبيذ في حيرة ، تتنازعه أخطاط المشاعر ، يسائل نفسه : أى موقف يقفه الآن ؟  
أتراه يبيع « سوزان » أم تراه يشتريها ؟ ...

ليس يدري على وجه التحقيق ...  
كل ما يدريه الساعة أن « سوزان » في جماها الخلاب ، في فتنها الرائعة ، في رقصتها الباردة ، في وداعتها المحببة ، تلوح الآن في مهب النزعات والنزوات ، يساوم في ثمنها هذا الجمع الخمور ...  
سحقاً للأيام التي تريده على أن يعرض صورة « سوزان » في سوق المزادة ، كأنما هو يقودها جارية لتباع في سوق الرقيق !  
ولكن فليتحمل هو الغضاضة من أجل « سوزان » ، ولتتحمل هي معه من أجل دوائها المنشود ...  
لم يستطع أحد أن يزيد على ما عرضته ربة المشرب ، فأصبحت الصورة من حقها وحدها ...

وتراجعت نحو الفتى طليقة الأساير ، مترنمة الأعطاف ،  
تقول :

هؤلاء الأغبياء لا يقدرّون الفن قدره الحق ... لا أجاملك ...  
إنها لوحة بديعة ... إنها أغلى من أن تقوّم بـشمن ...  
وضربت يدها في جيبيها تستخرج حافظة النقود : ودفعت إلى  
الفتى برزمة من النقود ثم الصورة الذي رست عليه المزايدة ، فأقبل  
على جيبيها يودعها قبلة عرفان للجميل ، وانصرف على الفور يتהלّل  
وجّهه .

طوت ستارة المسرح صاحبنا الفنان منطلقاً من الحانة ...  
وغمرت الأضواء قاعة المسرح ...  
في استطاعك أيها الرفيق إذا فتحت صحيفة البرنامج أن تقرأ  
من شأن الفتى ما تبغى أن تقف عليه ...  
لقد امتلأت يده بالمال المرموق ... بل بالدواء الشافي ...  
ستعيش « سوزان » ...

وظفّق الفتى يتعهد فتاته بالدواء والتبريض ، حتى تماثلت .  
وانكشفت عنها العلة ، وأنشأت تعاود حياتها كما كانت تمارسها من  
قبل ، وفتاها نفور يرنح أعطافه الزهو بما أسدى إليها من رعاية ،  
لا يمن عليها بالقول ... ولكن يشعر في وليجة نفسه بأنه تعهدا .

فأحسن التعهد ، وحنأ عليها فأبلغ في الحنو ، واستنقذها من براثن الداء فكتبت لها النجاة...

لقد أصبحت الفتاة جزءاً منه ، عليه أن يواصل رعايته ، وعليها أن تنقاد وأن تدعن لنصحها ، وأن تتلقى منه الحياة في فطنة وتطلع ... إنه رائدها الأمين فيما تصبو إليه من رفعة وتآلق ...

وبلغت الفتاة في ذلك الشأو البعيد ، ورأى مدير الجوقة التي تعمل بها ما وصلت إليه من تقدم وامتياز ، فأعلى مكانتها في برامج الرقص ، وما زال بها حتى أصبحت النجم الأول في الجوقة الراقصة ، لا تتوسط مدار الرقص تثني وتحتلج ، وقد أحدثت بها الأضواء الكاشفة ، حتى يهب الرواد متحمسين يطلقون صيحات الإعجاب ، دامية أكفهم من تصفيق حاد ، ملتبة حناجرهم من صياح وهياج ...

لقد خلقها حبيبها «جاك» خلقاً جديداً ، جلاها في الإطار اللائق بها كما يحلو لإحدى صوره تزينها الأصباغ والألوان : الزى الملائم للرقصة ، والخليجات المناسبة النغم ، والغمزات الداعية إلى افتتاح الجماهير ...

ليست «سوزان» الآن إلا صنعة «جاك» ، تنهافت عليها الجوقات المشهورة ، وتتنازعها دور اللهو الرفيع ...

وتصرمت الايام كأنها لحظاتك التي قرأت فيها هذه السطور من  
صحيفة المسرحية يخطها القدر وفق هواه ...  
وتخفت أضواء القاعة ...

وتتأهب الستارة القرمزية عن مشهد الحانة ... حانة د مدام  
مارتين ... وهي تستقبل وجه الفتى «جاك» عابس السحنة تكسو بحياه  
غشاوة من كآبة واغتمام ، متخذاً مجلسه في توفز ، يقبل على الشراب  
يكرع قدحا تلو قدح في تمور وجنون ، وعيناه معلقتان بالصورة  
تلتهبانها في مكانها الكريم من الجدار ، تنطوى جوانحه على حسرة  
واغتمام ، وفه ينفرج عن بسمه كريهة بلهاء ، يكابد ألواناً من الشقوة  
والبأساء .

إنها صورة «سوزان» في رقصتها الفاتنة المبدعة ...  
وما لبث أن غامت عيناه ، وانسدل عليهما ستار شفاف الدمع ،  
وسرعان ما وثب من مقعده ، واقتحم الطريق إلى الصورة ينتزعها  
في عنف ، وينحى عليها تحطيماً وتمزيقاً ، وهو يهذى بكلمات لم يستبين  
منها إلا قوله :

انتهت «سوزان» .. لم يبق منها شيء .. لم يكن بد من أن  
أنتقم ... من أن أقتلها ... من أن أحو صورتها من معبد الفن  
ومحراب الخلود ...

وركض ذليل القسيمات ، مختل السير ، أهوج التلفت ، يبعثر  
إشاراته في دھول ، وابتسامة عريضة بلهاء تبتلع وجهه الكاسف ،  
والجمع حوله شاخص مشدود .

ويهبط الستار على المنصة .  
النظارة في قاعة المسرح محتاجون لموقف ذلك الفتى الذليل ،  
يرثون له ، ويشفقون عليه ، ويتساملون في شأنه :

ما باله يقضى على فنه ويقضى على حبه في تلك الثورة الجاحدة ؟  
ما مصيره ... ؟

وإذا صحيفة البرتايج تسجل من أبناء الفتى نبأه الحاسم ... ذلك  
أن رجال الأمن عثروا بعد أيام على حطام جثة طافية على وجه  
الماء في ناحية من نهر «السين» ، تبين بعد فحص وتدقيق أنها لفتى  
فنان اسمه « جاك دوفال » ، لم يكشف لغرقه سبب إلا لوثة أضرت  
بعقله ، عرفها منه جيرته في أيامه الأخيرة . .

وينفجر الستار عن المنصة في مشهد الختام لكي تظال العناء سوزان ،  
عليها شملة من فرو رفيع النثن ، وقد تألقت عليها جواهر خلاصة  
ذوات أضواء وألوان . . .

تراها على حالها تلك من الثراء والبهاء ، وهي تبارح الباب

الخليقي للبهى الكبير الذى تعمل فيه ، وقد آتمت رقصتها التى تسميها  
« هكذا الحياة » ! ...

فما إن بدت بالباب حتى تلقفتها قبلة ظامئة ملتبئة من فم السيد  
« رنان » ، مدير إحدى الشركات ، وهو رجل بائن القصر ، قىء  
الجرم ، تخاله أيها الرفيق فى خطوه وتعوده كرة من المطاط أترجح  
بين أقدام اللاعبين .

ذلك هو الذى يبادلها حباً فواراً يرحان فى بحبوخته ،  
ويستغرقان فى نشوته ، متعاهدين على وفاء وإخلاص .  
وينسدل الستار عليهما فى منصرفهما يغربان فى ضحك ومزاح ...

وكانى بزورق الاطياف يقلع بى عن مرفأ الذكريات ، وهى  
تتبدى لى فى الأفق البعيد ، متزايلة عنى رويداً رويداً ، تذوب فى  
يقظة الحياة ، كما تذوب قطرات من الماء فى خضم موج ..

وإذا صديقي يمد يده لى فى تلمظ يقول :

ما بالك تائه الفكر ؟ ... إليك لفافة تبغ ... !

فتناولتها ، ولبثت أنفث دخانها ، فلا يعتم أن يتطاير متزايلة  
فى الفضاء ، كما تتطاير الاطياف والذكريات والعبر !



## البحر

ألفينها في شارع من شوارع القاهرة ...

هي امرأة مبتور لها ساق ، إبادن جرمها ، عليها ثوب هلاهل  
لا يظل في الصيف من وقدة الشمس ، ولا يذراً في الشتاء عادية  
الرياح ! يستقبلك منها وجه مكور يعروه شحوب ، أظهر ما فيه  
حاجب أشعث متجهم قطوب . حوالها بناتها الثلاث ، كبراهن لم  
تتنحط عامها العاشر بعد ، تراهن على مدرجة الطريق سرباً من الإوز  
في خنجة ومراح ...

وتقطع المرأة نهارها ناشرة جملها الحزينة الضارعة شبكا  
تتصيد من القلوب شوارد العطف والإشفاق ، فلا يزالها النهار  
إلا وقد جاءها رزق كريم .

على هذا النحو من الحياة استأثرت المرأة بركنها المختار على  
ناصية إحدى الدور الشواهد ، تتجدد عليها الأيام في بحبوحة  
أمن وسلام .

تنطلق بناتها الثلاث متعلقات بمواطىء الأقدام ، لسانهن يلهمج  
بالأدعية ، وأكفهن تتلقف ما يلقي إليهن من هبات .  
كان من بين الدور فى ذلك الشارع العريض دار للاستشفاء  
تراجبت فيها الجنبات ، وهى تمور بمن أعضل فيهم الداء من  
صادرين ووراد .

ويوما لفظت تلك الدار فيمن لفظت شيخاً ضامر العود يقتلع  
على أديم الأرض قدمين متورمتين فى خطوات يثقلها الأعياء ،  
صدره الضيق يتراعى خلف الأسمال دائب الخفق ، كأنه يلفظ  
أواخر ما اختزن من أنفاس ، وألنى الطريق يموج بالحركة ولا  
يفتأ يموج : سيارات متهورة تنتهبه على عجل ، وسابلة تتزاحم فى  
سيرها مندفعة الخطا تكاد تلتحم فى شجار وصدام .  
وخشى الرجل أن يدس بنفسه فى ذلك الملتطم ، فيهلك  
لا محالة .

خليق به أن يأوى إلى جدار ريثما ينال الطريق فتور وجمود .  
عليه أن يحط رحاله هنيئة يأمن فيها أخطار الطريق .  
ومالبث أن احتواه الجدار عن كئيب من أم الثلاث ، فتجتمع  
يقتعد الطوارىء ويستنشى نسمة دعة وجمام .  
وتطاوالت إليه عين المرأة تتبين وتتشوف ، وفى نفسها بواذر

ثورة تختمر ، ثورة شك وارتياب ، وتواردت على الطريق أفواج  
الناس تتفلت منهم نظرات إشفاق وترحم ، يتعمدون بها ذلك  
القعيد المبتئس في ضمته وانكساره ، لا ينبس له فم بشكاة ، ولا تمتد  
منه يد استجداء ...

وماهى إلا أن عرج عليه بعض السالكين ينفحونه بما قسم  
الله له من عطاء ...

لم تكن واهمة إذن تلك المرأة الكسيح عندما حدثتها نفسها  
حديث التشكك والاسترابة ...

ألم يتجشأها ذلك البناء بعد أن ضاقت بها أحشاؤه ، فلما  
احتواها الطريق كان التعب قد نال من ساقها الصريحة كل منال ،  
فتمملت تستريح هنيهات امتدت بها أياما بل سنوات ؟ ...

سخاء الناس هو السبب كل السبب ، فالمرء مسوق حيث الرزق  
ميسور ، والاتجاع منشود حيث لارهق ولا عناء ...  
مالها ثور وتمور ؟ ...

لها دن الزمن ، ولتطاوان الأحداث ، فالروية خير ، ومن تأني  
نال ما تمنى ...

عسى أن يكون الرجل الواغل سحابة صيف عن قليل تتقشع  
فيعاود سماها صفاء ..

وأسفر صباح الغد ، وسماء المرأة ما برحت غائمة ، فهذا الأعجف  
الوارم القدمين قد اتخذ سبيله إلى الطريق ، واقتعد مكانه من الطوار ،  
فلما تزايد عن عرض الأفق خيط النهار انكبت المرأة تعد ما تجمع  
لديها من عطايا ، فها لها تضاؤلها وانكماشها ، حتى إنها كادت لا تبقى  
بنفقات اليوم ، لولا ما تلتقطه بناتها الثلاث في مساعين  
من رزق . . .

إن الرجل المراحم ليمتص من دخلها الشيء الكثير ، فلا غرو  
أن يستهويه هذا المكسب ، فيلزم ركنه حاكفاً عليه لا يرميه في  
غداة أو عشى . . .

حان لها أن تناهض الواغل الجسور . . . وتقصيه عن سبيل  
الكسب والغنم .

لا بد أن يرحل عنها هي وعيالها ، ليعاودها دخلها المألوف .  
ومنذ هذه اللحظة لم تأل جهداً في إيدائه والشغب عليه ،  
طورا يمتد لسانها أفعى تنفث السم ، وطورا تسلط عليه بناتها  
سياط عذاب . . .

لن يهدأ لها بال حتى يخلى لها الرجل وجه الطريق ، فإما الجلاء  
ولما الفناء . . .

واستمر الحال على هذا النحو : الضامر الأعجف لا يزال

مكانه . يتقبل الأذية والمشغبة بجأش رابط وصدر رحيب ،  
فتزداد المرأة من حمل عليه وتمكيل به ...

وكان هنالك على ميسرة الطريق حانوت هين المنظر ، تعصب  
جنينه لافنة من نسيج امتدت إليه يد البلى فحنت مايرقشه من  
كلمات إلا اسم الحاج «مرسور» ، وهو طاه عريق في مهنته ، لفظته  
القصور بعد أن أسن ، فافتتح هذا المطعم بصباية من المال كوفي  
بها على سالف خدمته ، فانطلق يستكمل حياته هائى العيش  
رافه البال .

كان أول ما يتجلى منه للنظر كرش تنبعج ، وشارب ينتفش ،  
وأوداج نافرات ، لا يكاد يتحدث إل أحد فيشتيك معه في شأن من  
الشئون الجارية حتى تجده قد احتقن وجهه ، وكثر لغوه ،  
واندفعت حنجرته تقذف بقارص من اللفظ وجارح من التعبير ،  
وأكبر ما يهيج ويثير حنقه أن يحوم حول حانوته الحمل من  
أطفال الحى ، وبخاصة البنات الثلاث ، فإنه يسب ويلعن ، ولا تلبث  
قدمه أن تركز ذات اليمين وذات الشمال ، كأنه دابة من دواب  
الجر خف حلمها ، ونقد صبرها .

لقد استن الرجل لنفسه ستة لا يحيد عنها ، ألا وهى الاقتصاد ،  
فهو لا يسخو ببضاعته إلا لمن يذل الثمن الربيع ، فإن توافر له هذا

الشرط الأصيل من التعامل ، دفع بالصحاف مترعة من يده السمناع .  
أما أن يتصدق بما جهد في إعداده وطهوه من الطعام ، فهيات  
ذلك هيات ... كفاه غدر القططة تعيث في مطهاه خرابا تنهب  
ما فيه ، فيقع بين مخالها الطعام الشهى ، ولو كه بين شديقها سائغ  
المذاق ، فما تخلص منه حتى تلعق شفتيها ، وتتلاعب بشاريها كأنما  
تخفى دليل جريمتها ، وسطوها عليه .

بالأمس اختفت من المقهى دجاجة مسمومة ، فلما سأل صبيه  
في شأنها امتدت عينه إلى هرة متممة تتمطى على قارعة الطريق ،  
هى موضع التهمة ورأس الفساد ...  
أئمة ما يدعوه أن يغير مسلكه حيال أولئك الصبايا اللواتي  
يتحمل في سبيلهن الغبن والخسار ؟

إن هن أدين الثمن فإنه لا يردهن إلا متملئات يستمرئن لذيد.  
مارعته بطونهن من مأكل هنء المذاق .

ظل المواقف على حاله بين ذلك الثالث : المرأة والطامى  
والواغل الأعجف ، لا تغيير ولا تديل حتى موسم الاصطياف ،  
فقد نزح أكثر الموسرين من سابلة الحى ينتجعون شاطئ البحر ،  
وأصاب الشارع العريض من جراء ذلك نقص وإجداب .  
وامتدت كل يد إلى ما اختزنت تستوفى منه حاجات العيش ،

غير أن لكل مدخر نقادا ، فخطت على ثالث الطريق غبرة الفاقة ،  
وتدسست أنياب الجوع إليهم تقطع الأحشاء ، أما المطهى فكانت  
تترأى فيه صحاف الطعام ذرات ألوان ، وأفراد الثالث لا يصيرون  
منها غير لفاظة تلقى إليهم على مدرجة الطريق .

وعشية شوهده غطريف من أهل الريف أنيق البزة ، تتخايل  
عليه أبهة الجاه ورونق الثراء : عباءة موشاة ، وطربوش لامع  
السكرى بميله على فوده ، وفي يده عصا مقبضها من ذهب أخذ يضرب  
بها الهواء ضربات عشواء .

وما إن مضى يذرع الشارع حتى اضطرب الثالث القابع ،  
فانبرى لسان الكسيحة يشكو سوء الحال ، وانصرفت البنات  
الثلاث يأخذن بحاشية العباءة الفضفاضة في صراع مرير ، ومثل  
الطاهى فى جرمة البدين يطرى بضاعته فى جمل بيانية تتفتح لها  
النفس ويتحلب الريق ، أما صاحب القدمين المتورمتين فما زال  
قابضا على لسانه يستغرق فى صمت متشابك موصول .

لقد ضاق غطريفنا ذرعا ، فاعتدل يهش بعصاه على سرب  
البنات اللجوج ، ورى الطاهى بنظرة فيها ترفع واستكبار ، ولوى  
عنقه عن الكسيح لا يباليه ، والتفت إلى الرجل الصموت يرعاه  
بنظرة لإشفاق ، وما كاد يخطو نحوه خطوات حتى فزعت يده إلى

جبيه تستخرج قطعة من نقود ، وانحنى يدها في يده ، ومن ثم انصرف إلى سبيله يخب في عباءته ، وهو يتلاعب بعصاه ، ويرتفع برأسه ذات اليمين وذات الشمال .

وجمدت الصبايا الثلاث في مكانهن مبتسمات ، واسترسلت الأم . تتناول على الدهر بالشتم والشباب ، أما الطاهى فقد زحم حانوته بجمه المتكثرتعالى كتفاه وتنخفضان في تحسر واستياء ، ولبت صاحب القدمين المتورمتين في مكانه يتلاعب بقطعة النقود مشرقة . أسارىره ، ملتمة عيناه بوميض الرضا والارتياح ، حامدا الله على ما سخره له من موفور العطاء .

وبعد برهة شوهده الرجل يزائل مكانه ، دالفا إلى حانوت الطاهى ، واندس في مضطرب الداخلين من خدم وعمال ، حيث يلجئون المطهى من باب الخلفى ، وماعتم أن خرج محملا برغيف متنفخ بأفلاذ من شواء وشراش يفوح منه قتارشهى ، وأسلم نفسه إلى الطريق يأخذ سبيل العودة ، لتتوفر له جلسة مريئة بين ذاك الرغيف الساخن وشرائح اللحم الحنيذ .

وما كاد يستوى في ملاذه حتى أشرع أصابعه الخمس في فرجة الرغيف ليستخرج قطعة من الشواء يضعها تحت أضراسه ليسكت بها حدة الجوع ، إلا أنه توقف ، إذ ارتقى إلى سمعه مواء قط جاء .



يتمسح بقدميه ، وهو يرأى بعينه في مسكنة واستعطاف ، فهم  
الرجل أن يلقي له بنصيب ، غير أن يده لم تساعد كآن الفالج مسها ،  
وإذا بمسحة من كآية تغشاه ... لقد تراءت له البنات الثلاث واقفات .  
حياله في ذلة وتخاصع ، فإغرات الأفواه يحدجن الهرة متحفزات .  
وفي خلجة تشبه خلجة الغضب نادى صاحب القديمين  
المتوزمتين كبراهن ، فتدفعت صوبه تحت الخطأ ، وفي عقبها  
أختها ، متلهفات ، فأكادت تدانيه حتى ألقي إليها بالرغيف وما  
يحتويه ، وزايل مكانه في عتمة الليل يزحف في خطاه ١

## ثمالة الكأس

اتخذ «عبدالعظيم أفندي صدقر» سبيله إلى إدارة المحكمة الحسينية  
برما يتسخط...

لم يظفر الرفاق منه بتحيته الندية ، على مألوف عاداته ، حين كان  
يهابهم مهدياً لإيهم التحية ، تتراحب على شفتيه بسماته الرقاق ...  
إنهم يجدونه اليوم جهم القسمات ، يمضى إلى مكتبه ، فاسحا  
خطاه ، وما زال يلوك بين شذقيه كلمات التغيظ في تملل واضح  
واستياء ملحوظ ...

إنه لا يحسن كبت حنقه ، كلما توعرت عليه المشاكل ، وأمهنته  
الشواغل ...

وما عثم أن تمالك على كرسية يسلم إليه جرمه الثقيل ،  
فاضطرب المقعد من تحته ، وصرت قوائمه ، وأوشك الرجل  
أن يتهاوى لولا أن تمالك .

وراح يجمع ما تفرق من أنحائه ، ويتوازن في مجلسه ، ويتحسس  
مسند الكرسي في تأفف وعتاب .

ومن ثم عمد إلى طربوشه ينحيه عن رأسه ، فبدأ أجرد يتلعب ،  
وإلى سترته يعالج أضرارها يكشف صدره ، وسرعان ما أخرج  
من جيبه منديلاً عريضاً طفق يمسح به وجهه ، وقد تفصد عرقاً ،  
وخلع حذاءه عن قدمين متورمتين انكفاً يعرهما في رفق ،  
يذود عنهما كلال السير ، ثم تناول غليونيه يحرق طباقه العطر . .  
فما لبث أن سرى في أوصاله فتور وتراخ ، أسبله إلى فترة  
جمام ينعم فيها بالدعة ، لولا ما اشتد به من ظمأ ، فانبعث يصفق ،  
منادياً ساقى الإدارة يطالبه بكوب من عصير الليمون المثلوج ،  
وهو مضطجع في جلسته يتمصص ، كأنه يستمرى لذة الشراب  
الملشود .

ومر به الوقت في تباطؤ ، دون أن يجاب إلى مطلبه .

أيعانده هذا الساقى الوغد . . ؟

أيطىء عنه في إحضار كوب من شراب الليمون . . ؟

ألم يظن إلى أنه حران ينبغي أن يبل صداه ، واليوم صائف ،  
والهواء حبيس .

ما زال هذا الخادم الشغوب على حاله من العبث والعصيان ،  
(٤٢)

لم يتب ، على الرغم من إمداء النصيح إليه ، والعفو عن ذلاته ، مرة بل مرات .

أجل ، ذلاته ... إذ كان يكرر « بالعدوى أفندى ، أحد موظفي الإدارة ، ويشغب عليه ...

وبلغ به الأمر حد التطاول والسفاهة ، وأوشك التحقيق معه أن يفضى به إلى حرمانه الدخول إلى الإدارة ، وموافاة الموظفين بما يطلبون من طعام وشراب ...

لقد عفى عنه ، رحمة بأسرة له يدعى أنه عائلها الأوحـد .  
حقاً لقد سمع «العدوى أفندى» من هذا الساقى السفيف ما يتأذى به الرجل الحر .

تسامع الموظفون يومئذ بأن هذا الساقى مدفوع إلى معاكسة «العدوى أفندى» من بعض زملائه الكائدين له ، والذين ينفسون عليه صلته بمدير الإدارة ...

وما كان للساقى أن يتخذ أسلوباً من التبيجح والمعاذلة في معاملة «العدوى أفندى» ، لولا أنه مشدود الأزر بذلك التحريض والإغراء لقاء ثمن معلوم .

ماذا فى الأمر ؟ ...

إن «الصقر أفندى» لا يبيع أن تتكرر مأساة أمس معه اليوم ...

أثمة محرض حقود يثير عليه ذلك الساقى المأجور ... ؟  
هيهات لأحد أن ينال من «الصقر أفندى» منالاً... هيهات ...  
لأنه لا يطيق التلاعب والمداورة .

وأخذه الحماس ، فرفع عقيرته مخنقاً ينادى ويتأمر :  
يا ولد ... يا «باجورى» ... أين كوب الليمون ؟ . منذ ساعة  
خلت وأنا فى انتظارك... أقصر الشر يا ولد .. ووافنى بالمطلوب .  
وسرت فى الحجرة غممة استياء ، مصدرها بعض الرفاق ، فلم  
يعرها «الصقر أفندى» اهتماماً ، وثار صوته مغضباً ينادى :  
يا «باجورى» ... يا ولد يا «باجورى» .

وانبعثت كفاه تظاهران صوته الجمهورى فى فورة من تصفيق  
يصك الأسماع ، فهبت زوبعة من جيرة الحجرة تهيب به أن يتحشم ،  
وأن يرحم طمأنينتهم من هذه الجليلة والضجيج ، وهم يقولون له :  
صبرك... صبرك .. إن لإدارة المحكمة حرمة عليك أن ترعاها .  
أنى له الصبر ، وقد بلغ منه العطش كل مبلغ ، حتى نضب منه  
الريق ، وتشقق حلقة ؟

لأنه لم يعد يطيق الانتظار لحظة .

وهم يهدر بالقول ...

إلا أن الكلمات حشرت فى حلقة لا تنطلق ، فقد بادره أحد

الرفقة بهمهم في لهجة تشويها سخرية واضحة :

ألمست تعلم يا «صقر أفندي» أن الكلام يزيدك من عطش ؟  
فأشرع الرجل إلى رفيقه النظر في جفاء ، دون أن يحير من  
جواب ، ولوى عنقه نحو النافذة مأخوذاً يبعثر النظرات وهو  
يبرطم .

ودلف «الحاج عزيز» الساعي يتنقل بين المكاتب في عوده  
السمري ، وحنائه الضخم القرب ، وحلته ذات الأزرار الصفر  
الصدئة ، وقد تلوت يده على أضمائم القضايا وأضابير التحقيقات ،  
وطبق يوزعها على جمع الموظفين ، كل بحسب عمله واختصاصه ،  
في تكاسل وإبطاء .

وأفضى به المسير إلى «الصقر أفندي» متشمخاً في جلسته ، مغضن  
الجبين ، أشم الأنف ، قال عليه يناوله حظه من الأوراق المصلحية ،  
فأثنى الرجل يتفحصها ، وما لمح ظرفاً يتناول له من بين الرزم  
حتى أمسك به يتثبت من عنوانه ، فألقاه معنوياً باسمه ، ففضضه على  
عجل يقرأ ما احتواه ، بعد أن وقع «لحاج عزيز» في دفتر التسليم .  
رسالة رقيقة تشكر له الوزارة فيها نشاطه طوال خدمته ،  
وتأسف إذ تنهى إليه قراراً بمنحه إجازة يحال بعدها إلى المعاش .  
وطوى «الصقر أفندي» الرسالة في حسرة ، مرتعش اليد ، وقد

شعر كأن عوده يتهاوى تحت وطأة تلك الصدمة النكراء ...  
وما عثم أن سنحت مراحل حياته تتخايل له ، كمشهد حزين  
لجنازة حارة : إنه عرك الوظائف الحكومية منذ فجر حياته ، متقلبا  
في دواوينها العديدة ، مهبض الحظ ، منكش الرزق ، محسور النفس  
بالتخلف عن الأقران .

أتلفظه الوظيفة بعد أن مكث في صحبتها أكثر من ثلاثين عاما ،  
تطمس رونق شبابه ، وتستشف عصارة فتوته ؟  
إنه ما فتى بحمد الله قادرا على العمل ...

ماذا يحسن أولئك الذين يزدهون بالشباب أن يعملوا ... ؟  
إنهم لا يستطيعون وحق السماء منافسته في شيء مما يحسن ...  
نظرة واحدة منه تكفي لكي يتعرف المطلوب من المذكرات  
والأوراق والقضايا ، في دقة ومهارة واستيعاب ...  
يا لضیعة الکفایات ... !

يا لحنية الخبرة والمرانة والإتقان ... !  
لم يكن « الصقر أفندي » يحسب أن يد الزمن قاسية ، تسومه  
يوما هذا الجزاء المجحف المرير .

لقد انقفل يقبل على عيشه رافه البال ، رضى النفس ، تحتله

بروق الأمل ، فكلما مثلت له النهاية المحتومة تركها لغيره ، وانصرف هو إلى يومه يدبر حاضره وشواغله .  
وسارقتة الأيام ، فإذا به يصل إلى غاتمة المطاف ، يترك الوظيفة على كره .

لأنه لم يعد العدة لهذه النهاية ، ولم يتسلح ليوم الزوال .  
كيف يواجه عهد الكسل والخنوع ؟ .  
أيقظ نهاره في المشارب والأندية ، يداور بانعا ، أو يتسمع إلى حديث جليس ، أو يدنو من مهب الأنعام يبعثها المذايح مثلبة كأنها أصداء مناشير تنحت في الخشب وتأكل فيه ؟ .  
الحق أنه لم يمارس هذا اللون من الحياة قبل .  
كان ينصرف من عمله إلى بيته ، فيتلقاه مغناه كما تتلق الحظيرة مطية كادحة متعبة ، بعد طول رهق ، فتظل مستلقية تتمرغ على الثرى ، حتى يدعوها الصباح إلى معاودة الكد والكفاح .  
يا له من باتس مغرور .... وقد صدق فيه المثل :  
المنحوس منحوس ، وإن كان على باب بيته قانونا  
وتداولته الأيام بالباساء ، ترض عليه بالرفاهة والتألق ، وتلك هي ماضية به على خطتها معه لا تحيد .  
ليس ثمة ما يدعوها إلى أن تبسم له ، وتغير منهجها منه .



أيمالك في آفاق الوظيفة العليا ، ظهرا قويا يركن إليه ، ويعمل عليه ، لتنهاده الحياة ، فيشق فيها سبيله إلى مجد ورفاهية ؟

ألا سحقا للأيام !

ألا بعدا للوظيفة !

لم يلق منها خيرا ولا رعاية ، حتى هذا الكرسي ، كرسي الوظيفة ، يضيق به ، ويتملبلل منه ، وهو يجلس عليه محاذرا يخشى أن تلتوى قوائمه فتسقط به على الأرض ، يحطم الضلوع ، كسير الذراع ، إن لم تهشم رأسه ، وتخلع رجله .

ما باله يبكي على الوظيفة ؟

ماذا أفاد منها ؟

ماذا لقي من الرؤساء ومن الأقران ، ومن دونهم ممن يعملون معه ؟

أما الرؤساء فكانوا دائما يخادعونهم ويمنونهم الأمانى ، لكي ينجز لهم ما يحشمونه من الأعمال . . . من الأثقال .

فإذا حان حين المثوبة والجزاء ، نسوه وذكروا من تربطهم بهم روابط أو منافع لا شأن لها بالوظيفة أو بالعمل .

وأما الرفاق فيبش الرفاق . . . إن كفايته على العمل توغر صدورهم عليه ، فيأتمرون به ، ويكيدون له ، ويسخرون منه ،

ولا يدعون فرصة إلا استغلوها لكي ينتقصوا حقه ، ويحطوا من قدره .

لأنهم صغار السن . . . صغار الأحلام .  
حسبه منهم ما يلقاه اليوم . . . آخر يوم له في العمل . . .  
اليوم الذى يشرب فيه على مريض ثمالة الكأس .  
حسبه منهم موقفهم حين نادى يطلب كوبا من شراب الليمون .  
تألبوا عليه ، وأسأوا إليه ، بدلا من أن يعينوه على بلوغ مأربه .  
لأنهم ينصرون عليه ذلك الوغد الوقح في إبطائه عنه ، ومعاندته له .

كيف لا يشتد به الحنق في يومه المشؤم ؟ .  
لا طاقة له بالسكوت .  
ليأخذن هذا الساقى بالحزم . . . ليكون به عنيفا أشد العنف .  
لطالما نفحه بألوان من العطايا والألطف .  
لم يغلظ له في قول ، ولم يتأخر عنه في مطلب .  
أىكون جزاؤه منه ذلك التوقع والتبجح والإهمال ؟  
ذلك هو يتردد على مرعى الدين منه ، يوزع أقذار الأثرية .

على الموظفين بين صغير وكبير، والصينية تتلألأ بأقداحها على يديه.  
في غدو ورواح .

إن د الصقري أفندى ، ليشعر بريقه ينضب ، وأشداقه  
يصيدها تشقق ١ .

أيلبث على هذه الحال ، والشراب منه قريب ؟ .  
ما أشبهه بحقل أجذب ، يقشعر أديمه من العطش ، والقناة منه .  
قاب قوسين ، لا ينال منها التملؤ والرى .  
وبغثة احتد صوته ينادى :

يا د باجورى ، . . . يا ولد . . . يا د باجورى . .  
وينما كان فى ندائه مسترسلا ، انبعث له أحد الزملاء يثنى على .  
أذنه يسر إليه كلمات ، ود الصقر أفندى ، مصغ إليه يتسمع فى .  
اهتمام ، تترامى على وجهه بوادر احتياج مكبوت ينذر  
بالعواصف والبروق .

وتابع الزميل همسه له ، والرجل محقق نافر الأوداج ، منتفش .  
الشارب ، متضرم النظرات ، يصيح :

سيرى وسيرون . . . أو تحسبني مغفلا لا أفهم ؟ . . . الحقيقة .  
واضحة . . . الولد مدسوس على . . . أو عيت ؟ . . . جندى  
أفندى ، هو رأس الشر ، وأساس البلية .. إنه يضمركلى كل حقد . . .  
حسابه منى عند الله . . .

ويكتفي عليه الرفيق مرة أخرى يخافت بقوله ، محاولاً تهدئته  
وعيناه تخالس رفقة الحجرة نظرات ملؤها غمز ينطوى على خبث  
ومكر .

ونحاه «الصقر أفندى» عنه ، وهو يزأر في تحد :  
لا يهمنى .. ليسمع ... إنه يجنى على هذا الوغد ... على هذا  
«الباجورى» الغفل .

ويطالعه وجه «الباجورى» المسنون ، وهو يتخلع في مشيته ،  
كاسراً إحدى عينيه ، مشمراً عن ساعدين ضامرين تتلوى عليهما  
عروق زرق نوافر — كأنها ديدان الأرض ، تتحوى على عود  
يابس ، فى حقل يجذب .

فصدمه «الصقر أفندى» قائلاً :

أين عصير الليمون يا ولد؟ ... عصر الله عمرك ، وأطاح بك إلى  
الجحيم تصلى بنارها ولظاها .

فتلبث «الباجورى» فى طرف الحجرة يرمى «الصقر أفندى»  
بنظرات مراوغة وخداع ، يرسل جملة وثيدة :

كنى يا «صقر أفندى» ما عندك من حساب الأشربة حتى  
اليوم ... لقد ثقل الدين . وعندما ينقل الدين تجف الأشربة ،  
وحق الماء يغيب عن صاحب الدين !

فصاح الرجل به ، والرعدة تلتطم نبرات صوته :  
وما شأنك بالحساب ثقل أو خف ؟ ... ستقبض مالك غير  
منقوص ... أتشك في ذمتي ؟ ... ألم أكن أنقذك كل ما تطالبني به ،  
وفوق ما تطالبني به ؟

— على أية حال يا صقر أفندي ، لقد نفذ اليوم شراب الليون !  
— متى نفذ ؟ ... طلبت منك كوباً منذ حضرت ... قبل أن  
يطلب منك غيري ... أنت لا ريب كذاب ... والله إنك لكذاب !  
وجعل يديق المكتب بقبضته ، مؤكداً قوله ، محتدم الصوت .  
فاحتد « الباجوري » يجمعجم :

لا أسمح لك أن ترميني بالكذب ... خير لك أن تؤدي  
ما عليك ، بدلا من أن ترمي الناس يياطل القول ... ليس عندي  
مال أدبر به المقصف ، وأصبر به على الديون يطول بها الأمد .  
لقد بعث شراب الليمون لمن فقدني الثمن ... لا تغضب يا صقر  
أفندي ، ... حبلك ...

— أي ديون طال بها الأمد ؟ أقصر لسانك . أمثلك يطالبني بدين ؟  
— إنه مالي عندك ... أتريد أن تأكله ؟  
فتشأخ « الصقر أفندي » يغمغم :  
لك عندي قروش ... ستأخذها على حذائي !

فعقب « الباجورى ، هازناً :

لا فض فوك يا «صقر أفندى» ... حرى بك أن تبيع حذاءك .  
وتسد بضمنه دينك ، لتخلص ذمتك من مال الناس !  
فأجابه « الصقر أفندى » بصوت ضخم ملىء ، عليه مسحة  
الاهتياج والغضب :

أنا أبيع حذائى يا كلب ... إن لم تمسك لسانك خلعت نعلى ،  
وانهلت بها على صدغك ، لأردك إلى تأدب وصواب .

— يا «صقر أفندى» هذا لا يليق برجل فى آخر أيامه ...  
أتريد أن تطبق المثل : « أكثر من الفضائح وأنت رائخ » ؟  
وهنا بلغ السيل الزبى « بالصقر أفندى » وأيقن أن رفاق  
المكتب الحاقدين عليه ، العالمين بسر الرسالة التى تلقاها الساعة ،  
الشامتين بيوم خروجه ، قد أغروا به هذا الساق السليط ، ليناكده  
فى هذا اليوم العصيب .

لقد طاش حبله ، فقفز قفزة دفعته عن كسب من « الباجورى »  
وهو شاهر يديه فى وجهه يصيح :

ويلك منى ... لن تغفل من يدى إلا مهشم الرأس ... لأرينك  
أنت ومن يعينك على العبث والتبذل .

واندفع كالعاصفة الهوجاء ، هاجماً على « الباجورى » يأخذ

بخناقه يشتبك معه في عراك : اليد تصفع ، والقدم تكسع ، في استماتة وجبروت ..

وقام بعض الرفاق في تلكو يتظاهرون بالتفريق بين الخصمين ، على حين كان « الصقر أفندى » مسترسلا في لسكاته وركلاته ، وإنحائه على الساقى بجرمه الثقيل ، حتى كاد النصر الساحق يحالفه ، إلا أنه شعر بوهن يسرى في أوصاله ، وقتور يرخى يديه ... فتخلص منه « الباجورى » ، وماشعر بالحرية حتى عمد إلى هجوم خاطف ، ودفع « الصقر أفندى » دفعة طرحته على مكتبه ... فجمع الرجل قواه المحطمة ، وتناول بحبرة قذف بها في وجه الساقى ، فأصابت جبهته ، واختلط مدادها الأحمر بما تسایل من الشجعة الدامية .

هنا نهض الرفاق من المكاتب .. فريق يحيطون « بالباجورى » يعينونه على تضميد جرحه ، ويطيئون غاطره ، قائلين له في نظرف ومواساة :

لا بأس عليك ... افرض أن أباك ضربك ... أنت الذى أثرت غضبه ... إنه رجل مسن ... ساعه !  
وفريق آخرون من الموظفين أحاطوا « بالصقر أفندى » يمنعون من التمدى ، قائلين له :

حرام عليك ... كدت تقتله بين يديك !  
فتطاول الرجل يرمى بنظراته الحامية إلى خصمه الجريح ،  
ومالبث أن شتم بألفه ، وسوى من هندامه ، وراح يفرق طريقه  
بين جمع الموظفين ، متهاديا في مشيته ، يغادر دار المحكمة ، وهو  
يستمرىء نشوة الانتصار .  
وضاع عن الأنظار في زحمة الطريق ، لا يدري إلى أين .  
المساق ، ولا يعرف له وجهة هدف ...



## خيانة

— ويحك من سادر عريد ...

وألفت «صديحة» تلك الكلمات النائية متقاتلة في شديها تدفع ،  
كأنها قذائف تترى ...

وانبرت في زجرة جارحة تتخذ من زوجها « فوزى » سلة .  
تستودعها قامة الألفاظ والنعوت ، عمرة الحلم ، متمرة النظرات ،  
و « فوزى » قابع صموت يطويه موج السباب ، ملء لواحظه .  
تساؤل واستخبار ...

ما الخطب ... ؟

فيم اللغو والهنر ... ؟

غدر وخيانة ...

استخفاف ومجون .

زوج منكودة ، وزوجية يعصف بها الذبول والتصويج .

لقد نكث « فوزى » العهد ، وعيث بقدم الزواج .

فهل القول أنه خان «صديحة» زوجها في صحبة الغانية «أنوار» :

قائمة باسقة ، خصر نحيل ، عيان نفاذتان يظلهما جفنان مكحولان  
لغمزاتهما تتحطم صلاب الإرادات ، وتتفتح مغاليق القلوب .  
نعم الخليلان بجلسة أنيسة بين لمة من الصحاب ، يتقارعون  
كثوس الصبواء فى ملهى المروج الخضر ، على أطراف المدينة ،  
تحت غاشية الليل ...

وبين معا بئاث الرفاق جنح « فوزى » يضم إليه « أنوار » وقد  
بقشعت بينهما الكلفة ، واستخفت بهما النشوة ، فطفقا يتناقلان  
رخيص النكات ، وجرى المداعبات ، وما لبثت يده أن انسابت  
على صدرها اللين ، ناهلة من جسدها البض متعة أى متعة ...

وانبعثت فى حنايا الملهى هتفات موسيقية تثير كوامن المشاعر ،  
وتضرم فى الرؤوس وقود الشراب ...

واستجاب الخليلان لداعية الصبوة ، فتهاديا إلى المرقص ينقلان  
خطاهما على إيقاع النغم ، وذراعه يهصر خصرها اللدن فى جسارة  
واهتياج ، وعلى كتفه مال رأسها الفينان ينفج منه عطر نفاذ ،  
يزيد لواعج الفؤاد من ضرام ...

وشعر بها تبثه خلجات نهدين يشرئبان فى زهو واعتزاز ، وهى  
بين يديه تتأود ، كأنها ثعبان انتشى فى حمية الأنعام .

وتطلعت إليه «أنوار» تتلى وسامة مجياه ، وقد ضربته نضرة  
الشباب تمازجها لفحة الشراب ، فانقرجت شفتها تكشفان عن  
«مفاتيح» ثغرواله يستسقى عذب اللثام ، فما عثم «فوزى» أن أهوى  
عليه منهوماً يفنى في قبلة هارمة ...

وأدبر «فوزى» وصاحبته عن الملهى ، يطويهما الظلام في شملة  
من الألباز ...

مسكنة «صبيحة» ...

تأذت عيناك بهذا المشهد الآليم ، واكتوت منك الضاوع بنار  
الذلة والصغار .

صبرا ...

لقد عيل صبرى بعد هذه الخيانة النكراء .

لامناص لى من الفراق .

صفحا ...

كيف تطوع لى نفسى أن أغضى على كرامة تهدر ، وقدس  
يتدنس ؟

لزام أن يكون بيننا طلاق ...

واسترسلت «صبيحة» تزجر فى حنق ، وعلا صوتها محتد

النبرات ، وتواصلت كلماتها تتناثر كأنها كسار الزجاج يتطاير على.  
« فوزى ، فيدميه .

وانتظمتها رعشة ، وتملكتها نوبة من النحيب ، وفما بين الفينة  
والفينة يردد في جمجمة وخفوت :  
خائن ... ذنى .

يربك « فوزى » هدىء من روع زوجك .

أقبل عليها يا شجاع ...

لا تهيب ...

لاطفها فى مرح ...

قبلها فى نهم ، حتى تدمى منها الشفاه .

رب قبلة عارمة غفرت ذنوباً جساما .

وحث إليها الخطأ ، ولسانه يلهج باستعطاف وضراعة ، وفمه

غامر بقبلات رفاق ... وما كاد ينثنى على خدنها يودعه صفوا الحنان ، .

حتى لقيته « صديحة » بلهجة واخزة تغمم :

أأنسى لك ما أسلفت لى من إساءة؟ ... إليك عنى ... لا تقربنى ..

وأعرضت عنه ما ضية ...

فاجتذبا « فوزى » يستدنيهما منه ، وما أوشك أن يفعل حتى.

انفجرت تكيل له لكات شدادا ، وانها لت على صدره بقبضتها  
توجهه ضرباً في غير وعى ولا ميالة...

وتسللت بواكير الضوء خلال النافذة تنفض عن « صليحة »  
غاشية النعاس ، فما إن لامستها خيوطها الدافئة حتى هبت متفرعة ،  
وبين يديها حشايا رفاق تنعطف تحت لكاتها الشداد ، وشخصت  
بصرها تبين « فوزى » زوجها في سخط ، فإذا هو عن كسب منها  
يحف به دفيء الفراش ، وإذا هو يسبح في نوم وادع ، وعلى ثغره  
ابتسامة وصفاء !

## سِرُّ المُنْجِسِ اِزَالِ الْعَرَبِيَّةِ

شهر يولية ...

الحر قد بلغ ذروته ، فأضحت القاهرة ، أتونا يتوقد ، والأبلية  
فيها قاقم جمر ...

لم يسعنى إلا أن أصدف عن تلك البوتقة الحامية ، راحلا إلى  
الإسكندرية ، أنشد في جوها رخاوة النسيم وهناء البال ...  
واندفع القطار على قضبانه اللامعة يشق بحيزومه بساط الريح  
منشدة عجلاته أهاليج تبعث المراح ، فتعالى من خيشومه دخان  
موصول ، وأقبل على الأرض يلتهمها في شره ، وقد توهجت  
عينه تكشف له ستر الليل البهيم ...

وظفرت بمقصورة القطار خالية ، فأسرعت إلى بابها أغلقه ،  
وألقيت بجسدى على حشية المقعد أستريح .

وألقيتني أخرج من حافظة أوراق صحيفة مسائية انصرفت  
أطالها بعين ناعسة ، ونفس ملول .

وسرعان ما برمت بتلك الخطوط المتشابكة ، فنحيت الصحيفة

عنى ، ولويت عنقى إلى النافذة أسرح النظر فى أجواز الفضاء .  
ومازال القطار يهدد المسافرين بهزاته ، فاستشعرت سارية  
من الفتور تدب فى أوصالى ، وغفت عيني غفوة جمعتنى بطائفتى من  
الأحلام : الشاطئ يعمور بالقصائد ، البحر غضوب تتلاطم أمواجه  
محتدة ، والراية السوداء تخفق فى أعلى السارية آخذة على المستحمين  
طريق البحر ، تنذر الجسور منهم بهلك وشيك ، ووجدتنى لا أبالى  
بالخطر ، فألقى بنفسى بين الأمواج أصارعها فى غلبة وجبروت .  
وتعالى من الشاطئ صسوت الحارس ، مشفوها بصفيره  
المتقطع ، وهو يلوح بقلنسوته البيضاء يثني عن متابعة تلك المحاولة  
الجموح .

وأثار منظر الرجل سخرىتى ، كلما أخذته على الشاطئ يتردد  
ويتلدد ، تحوطنى أنظاره بالتعهد والإشفاق ، فانطلقت على متن  
الماء أغالب الموج ، غير آبه بذلك الحارس الفج الذى لا يتأس  
إلا سبيل الإمرة والسلطان .

وبينما أنا كذلك إذ أسفرت لى فتاة فى ريق العمر استهوتها  
المغامرة ، فرقت تتحدى الموج بقلب جسور .  
وتجمعت على الشاطئ حشود راجفة قلوبهم ، لاهقة أنفاسهم ،  
يحدجوننا فى ترقب ، فشعرت من فورى بعزة ، وتملكنى زهو .

وما عشت أن عنف بي البحر ، فطفت أمواجه تهبط بي  
وتطفو ، وإذا أنا مسترق القوى لا قبل لي بالمقاومة ، فأتمالك  
أن أطلقت صيحة استغاثة استجابت لها الفتاة ، خفت نحوي  
تغالب الموج في عنث ، وهي تمد لي يد العون ، فتشبثت بها أصبح :  
لا تركيني ... إني أموت ... أغرق .

وإلى هنا تفزعت من نومي ، واستدوت في رقدتي مهتاجا  
أحاول جاهداً تخليص نفسي من هذا الحلم الكئيب ، لا أهدأ  
ولا أستقر ، وبين يدي شيء أحتويه واعتصره ، وشعرت  
بلطمة عنيفة تهاوى على صدغي من ذلك الشيء الذي أحتويه بين  
ذراعي ، كان لها فعل السحر في تبديد تلك الأوهام ... وحملت  
بعيني أتبين الأمر ، فتكشفت لناظري الحقيقة جرداء من  
كل زيف .

فألفيتي لم أبرح مكاني من القطار وأنا متشبث في شدة بذراع  
فتاة في بسمة العمر ، على وجهها سياء الغضب ، تتماص مني وهي  
تهدر قائلة :

يا لك من عرييد ، قليل الحياء .. تدعى النوم لتشاكس الناس .. !  
حقاً إنك لوقح ! ...

واتنفضت واقفة ترميني بالنظر الشرر ، ثم أدبرت عن المقصورة



وهي تمضغ كلمات التأفف والاستنكار ...

أما أنا فقد بقيت في مجلسي ذاهلاً أتحنس صدغي يدي، وكأنني  
ألمس البحر ...

ورافق بنا القطار محطة « سيدى جابر » ، فغادرته على عجل ،  
أتدسس في الزحام متوارياً عن الأنظار، وما فتئ شبح الفتاة مانلاً  
لى يشغل بالى ويمض خاطرى .

زائلت الفندق من غدى في الضحوة العالية ، ومضيت أجول  
في دروب « الإسكندرية » راجلاً ، وملت في مسيرى على متجر  
أبتاع علبة من لفائف التبغ .

وفما أنا أفقد البائع الثمن ، إذ بيد تربت كتفى في شدة كدت  
منها أنكفي ، فدرت على عقبي أتبين ، وفي نفسى تحتلج بوادر  
ثورة ، فأدهشنى أن أرى صديقى « أسعد » رفيق الدرس وهو مقبل  
علىّ يضمنى في شوق ، وينثر على وجنتى قبلات الود ، وصدحت :  
أهلاً بك يا « أسعد » ... أهلاً ... أهلاً .

وحلق فى يتثبت منى ، كأنه لا يصدق عينه ، وهو يقول :

حسين ... شدم أنا مسرور بلقائك !

— لم أكن أتوقع أن ألقاك ... هذه مفاجأة طيبة .

وبعد أن فرغنا من التحيات ، قال لى صديقى ، وهو ينأى عنى

بضع خطوات :

تعال أقدمك لأختي ...

واستدار يجذب شقيقته في نشوة ومراح ، فما وقعت عليها ؛  
عيناي ، حتى عرفت فيها فتاة القطار ، في قوامها المشيق ، وعودها ؛  
اللدن ، وجالها الوهاج ... وقال الصديق :

أختي « ليلي » ... صديقي « حسين » .

واقتربت مني تمد يدها على استحياء ، وفيها يغمغم :

قشر فنا .

فانحنيت أشد على يمينها ، وأنا أحس الأرض تميدي ، وقد  
أرتج على ظلمي أنيس بقول .

وأقبل « أسعد » عليّ يستنجرني كعادته معي ، لا ينضب  
لأسئلته معين :

متى حضرت ؟

فوقفت حيا له حيران يخونني منطقي ، ولا يسعفني تدبيرى ،  
فجمجمت بعد يرهة صمت :

منذ قليل .

— مصادفة حسنة أن تلتقي اليوم .

وتشاغلت عنه بياض اللفائف أحاسبه ، فسمعته يزجر بقوله :

لقد ذهب الحياء وقل الأدب... الشبان تغازل الفتيات على  
وجه الطريق دون مبالاة ولا كرامة... انظر... انظر.  
يا سيدى إلى هذا الرقيق.

فعدلت إليه بوجهى أنين، وإذا به يسترعى نظرى إلى أقصى  
الشارع حيث يتراءى فتى يتتبع فتاة وهو يعاثرها فى غير حياء أو  
خجل، وكأن السبيل خال إلا منهما.  
لم أملك أنا إلا أن أبدى الإنكار لصنيع هذا الفتى المذمار،  
فأبحث صديقى «أسعد» يؤيدنى بقوله:

أتصدق يا أخى؟ حتى فى القطار نغازل كرائم الأوانس...  
كانت أختى قادمة بالقطار السريع البارحة، فتطاول عليها مغازل  
سفيه، فاضطرت أن تلطمه لطمة ردت إليه عازب عقله واتزانته...  
يا للوفاحة... يا لقلّة الأدب!

فأطرقت ساهما يتقصّد من جيئنى العرق، على حين انصببت من  
فم «أسعد» ألوان الشتائم واللعنات على رأس ذلك المغازل العريـد،  
دون أن تأخذه به رحمة، وختم سبابه وهو عاقـد الجبين، ينبعث  
من عينيه شواظ يخرق الحجب، قائلا:

آه لو سقط بين يدى... إذن لطلحت رأسه طعن الرمح،  
ولسويت أنفه بوجنتيه!

وبسط يده يستعين بها على الوصف والتعبير ، وأقبل يضرب  
الهواه كأنه يكيّل لغريمه اللكمات . . . وكادت تصيبني يده فتمشم  
أنفي ، لولا أن تراجعت أتفادى من الضربة ، فنظر إلى نظرة  
ملاطفة وتودد يقول :

عفوا يا صديق . . . إن دمي منذ البارحة يغلي بين عروقي . . .  
ليتني أعرف السبيل إلى ذلك الوغد الوضيع !  
وهنا أسرعت « ليلي » إلى أخيها تقاطعه بقولها وهي تلتقي على  
نظرة حنق عابثة :

هلا دعوت صديقك إلى تناول الغداء معنا ؟  
فصاح متهللا :

أجل . . . أجل . . . هذا مفروض . . . بل واجب . . .  
لا جدال فيه ولا نقاش . . . لا بد أن يتغدى معنا . . . اليوم لاشك .  
كادت قصة مغازل القطار تنسيني قواعد اللياقة والأدب . . . له  
الجحيم . . . ذلك . . . ذلك الكلب . . . يصعب على أن أتجاهله . . .  
أختي تغازل . . . وأنا ساكت لا حول لي ولا طول . . . دمي  
يغلي في رأسي . . . آه لو عرفته !

وازدردت ريق في تهيب ، أتأسف لاعتذارى عن تلبية تلك  
الدعوة الكريمة ، لأسكتة ، ولكنه أصرير غمّي وقد انطلقت أساريه

المتجهمه ، وعاوده بشره يقول وهو يعانقني ، ويربت ظهري في  
عنف أو شك قلبي منه أن ينمصر بين ضلوعي كما تعصر الليمونة :  
دعئك أختي ، ولا يصح أن تخيب لها رجاء . . . إنى ممتظرك  
في الساعة الواحدة .

وقبل أن أجيبه أخرج من حافظته بطاقة ومدها إلى "وهو يهمهم:  
العنوان واضح ، ولن تجد عناء في الاهتداء إلى المنزل .  
وأردفت : ليلي ، تقول في تعاطف ، وهي تسكسر لى عينها :  
سنكون في انتظارك . . . أرجو ألا تتخلف .  
فأجبتها في ارتياح :  
يسعدنى ذلك كل الإسعاد .

وبعد الغداء ضمنا بستان الدار نترشف القهوة ، وغاب عنا  
الصديق الغيور ، وأظلمتنا فترة صمت . . . وتشجعت أمزق شمل  
السكون بقولى :

إنى آسف لما بدر منى البارحة .  
— لقد انتهى الأمر .  
— الحق أنى معذور .  
— لا داعى للتعقيب على ما فات .  
— أحب أن أطلعك على سر ... أقسم لك إنى كنت فى حلم !

— لاشك أنه حلم جميل .  
— كان جميلا ... ولكن ما رأيته في اليقظة أجمل منه وأقن .  
فندت منها ضحكة لاهية ، وقالت وهي تتجافى عنى بنظراتها :  
بمن ياترى كنت تحلم ؟  
— الأحلام فيها متسع للحرورين مثلى !  
وأسبلت لى جفنها ، وتعمدتنى بقولها :  
لا بد أن تكون امرأة .  
فأجبت من فورى :  
لم تكن لى فى حياتى عروس أحلام .  
— أحقا ؟ ... غريب ذلك !  
فرددت عليها فى تحمس :  
لقد أصبح لى اليوم ...  
ووضعت قدح القهوة على المنضدة ، وألقيت عليها نظرة تكل.  
لها ما أعنى ، فالت بوجهها عنى تنظر فى أرجاء الحديقة ومسالكها ،  
وهى تهيمهم :  
لقد كنت عنيقا فى القطار حين أخذت بيدي ... أذهلتنى !  
فقلت ، وما زلت أنظر لها نظرة ملاطفة وتودد :  
وأنت كنت رقيقة حين لطمتنى ... وددت أن أقبل .

تلك اليد التي انتشلتنى من الهلاك ، ورددتنى إلى الحياة !  
فسمت بعينها إلى متطلعة متشوقة ، وعلى فيها ابتسام مريب ،  
وقالت :

أتهزل ... ؟

— بل أنا جاد كل الجد .

— ماذا تعنى ؟

— أعنى ما تفهمين .. إلا أن يكون قد سبقنى إليك عروس أحلام

— الطالبون كثير ...

— خدمتى هذه الجملة ، غير أنى تشجعت أسألك :

— ألم يقع اختيارك على أحد بعد ؟

— الحق أنى لم أختَر حتى هذه الساعة .

— شد ما أنا سعيد .

— أليس الأمر يقتضى منا مهلة تفكير ؟

— فلنَجرب حظنا ... على بركة الله .

فرنت إلى ، وابتسامتها تتلعب على شفيتها ، وغنممت :

ربما كنت قاسية ... كما رأيت !

إنى على استعداد أن أخوض التجربة ... لم يخذلنى حظى

حتى الآن .

— أنت وشأنك ...

وعاد إلينا صديقي «أسعد» يسألنا :

فيم كنتما تتحدثان ؟

فأجابت « ليلي » ، وهى تبسم :

لا شيء ... صديقك يرى رأيك فى سفاهة المغالين !

وأوشك «أسعد» أن يعقب على الحديث ، وقد احمرت

حديقته ، وانتفخت أشداقه ، واستجمع يثرثر ، فقاطعته أقول

وأنا أنظر إلى ساعتى :

لقد أطلت جلوسى ... أذف موعد القطار

فغمغمت « ليلي » تسألنى مبهوتة :

أمسافر أنت اليوم ؟

فغمزت لها بعينى فى مسطرة أقول :

سأعود بعد أسبوع ... إلى الملتقى .

وعلى مر الأيام بقى أمر المغالز العرييد سرّاً من الأسرار ،

كلما عرض حديثه بينى وبين زوجتى « ليلي » أغربنا فى تضاحك

ومراح ...



## المعلم خميس

— ١ —

نجمت من دار المعلم «خميس» النجار صبيحات استغاثة  
مكروبة تشوبها زمزمة خشنة تهدر وتتوعد ، وتراعى من نوافذ  
البيت شخصان يصطركان في عنف واحتداد : رجل أشعث عملاق  
وامرأة قبيحة عجفاء ...

وجار «المعلم خميس» لائماً يتهدد :

— لست عبداً لك يا امرأة السوء...حسبي من اسانك السليط.  
وسرغان ما أمرع السوط يهوى به على جسد «تفريجة»  
زوجته يلسعها لسعات كأنها شواظ من نار ، وصوته الأجلش  
المكر يحمل له للنسيم من نافذة الدار ، وقد تناءت على مصراعها في  
ظلمة الليل ، فيتناول إلى الجيرة بقوله :

هذا هو جزاء توقعك يا امرأة ... كثير على أن أحتمل.  
ثررتك وهذيالك ... خذى ... لا يروضك غير هذا ...

ويرتفع السوط عوداً على يده ليسقط على جرم المرأة سقطاً  
عشواء يدميه .

كثيراً ما كان ينشب بين « المعلم خميس » وزوجه « تفريجة »  
مهازرات لا تخلو من غلظة وقساوة .

اعتاد المعلم « خميس » أن يرتاد حانة وضيفة في ثلثة من أحلاس  
الشراب يتنادمهم حتى أخريات الليل ، لا يعبأ بالوقت ، فلا يرتد  
عنهم إلا وتباشير الفجر تلوح ، غير راع ما للزوجة عليه من  
حقوق بل واجبات ...

ماله ومالها ؟ ألا تأكل وتنام !

في ذلك — على حسب زعمه — كفاية وعدل .

أما أنها تشاركه العيش ، وتقاسمه الحياة كبإنسان له شعور  
وقلب ، فهذا تبجح منها واعتداء ، يأباه وإن انطبقت  
الأرض على السماء .

وفي مسلكه هذا ما ساء « تفريجة » وأقلق بالها ، فإنها حريصة  
على كرامته ، أمينة على داره ، فلا غرو أن تأقف منه ذلك الغي  
وأن تحشى عليها وعلى عيالها ولوعه بالخر ، فإنه غير قادر أن يرد  
نفسه عن طغيانها في كل يوم ، حين يغلق متجره ، ويترك لنفسه  
العنان يرتع كما يحلولة أن يرتع في لمة من صحبه ، كمالك الكلاب الضالة

ترتاد الأماكن والأزقة ، غير مبالية بشيء .

كانت دائية النصح له ، آنا تأخذه برفق ، وظورا ثور عليه  
وتعنف به ، لا يصدها عن ذلك ماعسى أن ينالها من قوارص لسانه  
وبطش يده .

في هذه الأمسية الوديعة بقمرها النير ، ضاقت المرأة بأمرها  
حينئذ ناب إليها رجلها مخور الرأس يتطوح ، فثارت ثورة جامحة  
تنسك عليه ، وتندد به .

وبينما هي محومة الأوصال وترغى وتزبد ، كان هو في غيوبة  
يحمل أحلام السكران ، وقد انبسطت خيال عينيه دنيا بهيجة الرواء  
تشيع في نفسه أنس الحياة ، فانبرى طروبا يترنم بالأهازيج متايل  
الاعطاف .

فتصدت له زوجته تناقشه الحساب في خشونة وجد ، وراحت  
تكدر نشوته ، إذ تعرض له الحياة ظلمات بعضها فوق بعض ، ومن  
ثم تراءيا يتعاركان ويتقاذفان بالمقذعات من الشتيمة والسباب .

— ٢ —

وتطير إلى أسماع الجيرة شظايا الملمحة الزوجية التي تنافس  
فيها سلاح اليد واللسان .

فاحتشد في الدار شتات من أهل الحى ، وتقدم الحشد المعلم  
(٦)

جمعة ، الخياط وكان أعلام مقاماً وأقدرهم على بيان وفصل خطاب ،  
فصلصل صوته يأمر صديقه بإخزاء الشيطان ، والصلاة على النبي ،  
واغتفار ما كان .

وأمسك « بتفريجة » يدفعها صوب زوجها ، ينهى إليها في  
حزم قوله :

قبلي رأس المعلم ، وأطلي منه الصفح والسمح .  
فتمنعت المرأة بمنكبيها ، وهي تنساق بقدميها ، تقول :  
لا تخرجني يا معلم ، إن مقامك عندي عظيم ، ولا أستطيع لك  
عصياناً ولا مخالفة .

ولما دنت من مجلس زوجها « المعلم خميس » أحس وفور  
كرامته وأرضاء عزته ، فاستلان منطقته وهو يقول :  
لولا حضورك يا معلم جمعة ، لكان وكان ...  
فعقب « المعلم جمعة » في تشمخ وهو يخاطب الجمع :  
لقد تصافيا ... انتهى الأمر ... الحمد لله .  
والتفت إلى الزوجة يأمر :

يا « تفريجة » ... اذهبي فهني لزوجك العشاء .  
ومرقت هي كالسهم تستجيب لما أمرت به في طوع ، واستأذن .  
« المعلم جمعة » في الانصراف ، فتسلل الجمع يتبعونه بعد أن استتب

الآمن والوثام في ربوع الدولة النائرة ، دولة « المعلم خميس » .  
وساد سكون .

تربع الرجل في قعدته على الأرض ليصيب طعامه على خوان  
من خشب ، وأمامه أرغفة ثلاثة وبصلة كبيرة وحزمة من كرات  
مترعرع وصحن تزججه كومة من الرز يتسمنها رأس ضأن يتقاطر  
منه دسم فواح .

فأكب « المعلم خميس » على مائدته ، وقد اهتزت خياشيمه ،  
ونديت شفتاه ، وتهيأت أضراسه لافتراس ، وشركيه الفضفاضين  
وأشرع أصابعه في جوانب الرأس ينزع منها الهبرة بعد الهبرة ،  
ويدفع بها إلى فمه ، ولا يهتم أن يشفعها بحفنة من الرز ، يتبعها عود  
من الكرات ومزقة من البصل ، يستعين بهما على اللقم والالتهام .  
وظل على هذا النحو : فمه يتلقى ، وأضراسه تطحن ، وبلعومه  
يسينغ ، حتى أصاب كفايته من وقود ينفذ في مسارب جسمائه  
فتوة وقوة .

وكانت « تفريجة » قد انتبذت من الحجرة مكانا تجمعت فيه  
لتكون طوع إشارة زوجها فيما يريد ، وجلست تكفكف دمعها  
بطرف خمارها المغبر ، وهي صموت ترنو إلى الرجل يصير بأسنانه

ويزدرد طعامه ، فتتمصص ريقها التافه وتزدرد الهواء الفارغ .  
ورأت المرأة زوجها يدفع يده المائدة ، ويصد عنها بكتفه ،  
فنهضت إليها تنهئها عنه ، وتفسح له مجال التمدد والاسترخاء .  
وفزعت يد المعلم إلى مطاوى جلبابه يستخرج منها علبته  
العزيزة التي يستأمنها على وديعته الغالية : قطعة الخدر يلوكها بين  
شديقه ، فتندس في حنايا جسده تشب فيه غرائزه ، وتبعد إلى  
رأسه تملأه بالمباهج والمسررات .

ثم عمد إلى لفافة تبغ فأشعلها ، وجعل يجذب أنفاسها رانيا  
إلى سحاب الدخان تنبسط أمام عينيه ، متأودة كأنها حسناء متجردة  
يتلاعب خصرها في مراح .

وأرسل الرجل من صدره تجشوة عالية يستمرى صفو  
العيش ومتعة الحياة ، وحانت منه لفظة إلى « تفريحة » فألفاها في  
غلالة كاشفة قد أهملت ساقها تتعري ، وهي تصيب عشاءها في تؤدة  
وسكينة واستسلام .

فجعل يحدد إليها النظر ، وعقب اللفافة بين إصبعيه يلذعها  
بناره ، فما هي إلا أن نهض متثاقلا إلى مخدعه .

وجاز في طريقه بوجه وهذه الكلمات تتساقط من بين شفثيه:  
أتريدين أن يطالع علينا الصبح وأنت تأكلين؟... أريد أن أنام .

وسرعان ما تحرك مدار المصباح ليهبط بذبالته ، فإذا الضوء  
في مخدع « الماعلم خميس » خافت يتخشع .  
وسمعت تنهدات وزفرات .

طالع الرجل فجر رائق بسام .  
فألني زوجه يسبح على بحياها الوسن ، ناعمة في فراشها الدافئ  
بهناء الأحلام ، كأنما تداعبها مؤنسات الأطياف .  
حجبها مليا ، ثم هدر في غلظة :  
انهضى طواك الردى . . . الشاى يا امرأة السوه .  
وأنحى عليها يهزمها هزاً دائباً ، فتفزعت نذهلها البغته ،  
وتطلعت وقد تطايرت من رأسها مباحج الأحلام . وظلت ترنو  
إليه في عجب تستوضحه جليلة الأمر ، فبادرها في توقع :  
— معدنى خاوية تتضور . . لا تبطنى وإلا بطشت بك  
وسحقت رأسك .

وصدف عن الحجرة يعد بطنه لفظور مرى ، شاحذا أسنانه  
وقد علاها الصدا بسواك منتفش الشعيرات مسنون الأطراف .  
وتمطت « تفريجة » تنفض عن حنايا الضلوع ثمالة ليلتها

الساهرة الممتعة ، ومن ثم صلبت عودها في فتور ، وانسابت  
تخطر ماضية إلى المطبخ .

وما هي إلا دقائق حتى كانت أنفاس النسيم تتمسح « بالمعلم  
خميس » وهو ماض إلى حانوته يصفر صفيراً فيه حنين .

ما إن فتح « المعلم خميس » باب حانوته حتى جر منه مقعداً  
جلس عليه يتلقى تحيات جيرانه يداهنونه بالقول ويدارونه ،  
والرجل في ضجعته منتفش يفضن جبينه ويزوى ما بين عينيه كأنه  
يتخذ لوجهه قالباً صلباً غليظاً يستقبل به الصبية الذين هم دعائم  
حانوته وآلات التنفيذ فيه ، ومن عرقهم يستخلص كسبه الميسور ،  
وهو على كرسيه متربع يأمر وينهى ويصب اللعنات على  
رؤوس الأشهاد .

وتقاطرت الصبية عليه يصيب كل منهم حظه من استقبال  
معلمه بكيّة وتنديداً ولو ما على الإبطاء والتأخر .  
انتظم الفتية داخل الحانوت منكبين على آلاتهم مستأنفين  
أعمالهم في تكاسل وفتور .

وصرف المعلم أنظاره إليهم يتصفح الوجوه ، وما لبث أن  
صاح بمحمد الجرس :



— أين «مدبولى» ؟

فلم يجب أحد .

فصرخ نائر النبرات :

هل صمت أسماكم يا أوغاد ... أين «مدبولى» ؟ ... لم  
يستقم أمره ... إن أفلح حلفت شاربى .  
ومر بإصبعه بين أنفه المتدلى وفه المتورم يتحسس ويستوثق ..  
وهو يجمعهم :

يا ولد يا «مليم» ... تسكنان حارة واحدة ، أنت وهو ...  
أسأل فلا تجيب ؟

وتعثرت الكلمات على فم الغلام ، فإذا «مدبولى» يقبل محجم  
الخطوات متهب النظرات ، فأنبرى له المعلم يغمز بعينه يقول :  
صباح الخير ... آنت !

ولم تطمئن نفس الغلام بهذه الكلمات التى يعلم أن معلمه إذا  
ساقها كانت مقدمة لبطشه وأذاه ، فقال فى تخاضع :  
أمى مريضة ...

وسرعان ما نهض المعلم يركل الصبي ركلة عنيفة وهو يغمغم :  
مريضة ... اذهب إليها يا عين أمك ... إن أفلحت  
حلفت شاربى .

وفيا كان «مدبولى» يرجع أدراجه ندى العين كسير النفس،  
يرطم ، صادفه فى طريقه «أبو عزيزة» أحد عملاء «المعلم خميس» .  
فاستوقف الغلام يسأله :

مالك يا «مدبولى» ... ألم تقتنوا من صنع صوان العروس ؟  
فقال له الفتى شرقا بدمعه يمسح أنفه بظهر يده :  
أتظن أن «المعلم خميس» ينجز لك شيئا ؟ ... عوضك الله  
فى نقودك ... لا تتعب نفسك .

فهرول الرجل مستأسدا يستشيط غضبا ، وهو يقلب الأمر  
على مختلف وجوهه فى الطريق إلى حانوت النجار .

فلما رآه المعلم «خميس» مقبلا عليه جهم القسمات ، وقف يتصنع  
البشاشة له والترحيب به ، فعاجله «أبو عزيزة» يقول :  
أين صوان العروس ؟

— يا رجل ، قل صباح الخير .

ونادى :

يا ولد يا «مليم» قهوة للمعلم ، أبو عزيزة ، .

— لاداعى ... أرنى الصوان ... لقد قبضت ثلاثة أرباع الثمن ، .

وموعد الزفاف قريب ، وكل يوم تؤخرنى إلى غد ... أرنى الصوان .

وهم بأن يقتحم الحانوت ، فاستوقفه « المعلم خيس » يسكن  
من روعه ويمنعه من الدخول ، فاندفع الرجل متحملاً  
وهو يبرطم :

لقد خربت الذمم . . . كفاني من غشك .

فثارت نائرة « المعلم خيس » واستشعر أن حرمة تمتهن ،  
وأن كرامته تهدر ، فصرخ محتداً كالثور الهائج :  
أنا لاذمة لى ؟ . . . أنا غشاش ؟ . . . أنجرو على ذلك ؟  
— وأكثر من ذلك . . . أنت لص . . . محتال .

واحتدم بينهما عراك تبجلى عن « أبى عزيزة » ملقى على  
الطواريق ويتوجع ، والدم ينبثق من ركبته .  
وحملته مركبة الإسعاف إلى مستشفى قصر العيني ، حيث قضى .  
فيه شهراً مجبور الساق ، ولكن الجرح تعذر على البرء ، فلم يكن  
من بتر الساق بد .

وأما المعلم « خيس » فقد أجنه السجن شهوراً طوالاً هدت من  
قواه ، وزعزعت من كيانه ، وخرج من محبسه إلى داره قعيد  
الفراش يتسخط ويهدر كأنه الأسد الجريح .  
وأخذ الرجل يذبل ويضمهر حتى غدا في سريره طيفاً من  
الأطلياف ، ضامر العود ، واهن الصوت ، شاحب القسمات .

وصبح يوم انبعث من بيت « المعلم خميس » صياح ينعى رب  
البيت وجبار العنيد .

فارق الحياة ، ومضت روحه إلى السماء تفتش عن مقر .  
وهرعت جموع النائحات يندبن رجل « تفريحة » وقد  
توسطنهن في حيرة وذ هول ، تستجدي عينها دمة تطفى بها لوعة  
النفوس ، فيستعصى عليها الدمع .

لأنها تشعر بغائلة الوحدة تمصرها وتضيقها .  
لم تحسب أن ساعة الفراق مرة المذاق .

أي موت « المعلم خميس » ؟  
ذلك ما لم يكن لها على بال .

وبرز النعش في حلته المهيبة يخطر ، ومن خلفه جمع المشيعين  
والمواسين ، بينهم « أبو عزيزة » بساقه الفريدة ، يتحامل على  
عكازته ، ويرمق النعش بنظرات غامضة ، وهو يتمصص شفقيه  
ولسانه يتمتم :

الله يسأحك يا « معلم خميس » .

وعن كذب منه يدب الفتى « مدبولي » ويمسح عن عينيه دمة

ساذجة وهو يقول :

الله يرحمك يا معلى . . . الصبر بالله .

وفي أعقاب الجمع تضطرب ملاءات سود ينبعث من بينها  
صوت « تفرجة » المقروح تولول متصايحة :

الوداع يا معلم خميس ، . . . رجل ولا كالرجال !  
ومر النعش يحوز بالحارة يخطر ، كأنه في خطراته على الأعناق  
يباهى بما له من سطوة واستعلاء ، لا يبالى من شيء !

## ومحاشا في ثبات نبات

- ١ -

بارح ومصيلحي أبوسويلم ، داره في الضحوة العالية ، مكتتب  
النفس ، يغشاه قطوب ، وهو يضرب الأرض بخطا عجال ، فيشبر  
خلفه غلالة رقيقة من غبار .

لقد أبطأ عن عمله ، عليه أن يستدرك أمره .  
دخل تربية المعاتيق ، أشد ما تكون امتلاء بالحركة والضجيج ،  
فاتتحي في مسطرة وتحرز نحو دوار الشبح ، نوار ، يتولى على  
مصطيطه العارية نوبته من الحراسة ، وكانت من قبل لأبيه زهاء  
عشرين عاماً لا ينافسه فيها أحد ، فلما إن تخطفته يد المنون حتى  
نصب مصيلحي ، خلفاً له ، ولم يكن قد ناهز العشرين بعد .  
اعتلى مصيلحي ، مجلسه بعد أن تحرر من مداسه الترب ،  
يللم نفسه وقد تداخل في عبااته الصوفية القائمة ، لا يترامى منه  
غير عينين زائغتين تستبد بهما حيرة وتيه ، وبوابة الدوار عن  
كثب منه متشابكة في فتور تفسح الطريق لمن هب ودب ، فمن مطايا

مهزولة تنوء تحت أحمال البذور والسماد ، إلى مركبات بالية تنوح  
عجلاتها تحت أعباء الحصاد ، إلى زرافات ووحدان من الكبار  
والصغار يقدون ويروحون لا يصدم رقيب ، فالباب نهب لقصاده  
يعيشون فيه ، لاصوت ينهر الواغلة والمتطفل ، ولا عين تحصى ما نقله  
ظهور المطايا من خيرات .

معذور « أبو سويلم » .

إن الشواغل تحاصره ولا تفتأ تخزه كأنها في لمح إبر النمل .  
وانكب « مصيلحي » على أحزانه يحترها كالجل في مبركة  
يزدرد ما اختزن من زاد .

ويل له بما يسترجع من أحاديث مريرة تدور في شأن زوجه  
« ربحانة » .

بنى بها يافعة فارعة ، ولبت معها ترفرف عليهما السعادة بأجنحة  
من ذهب ، يثوب إلى داره عشاء مكدود الجسد فيستقبله بيته رحب  
الجناب ، يشيع فيه البخور الزكي ، فما هو إلا أن تنساب في مسارب  
نفسه راحة وأطمئنان ، وسرعان ما تنصب بين يديه صينية الطعام  
فواحة القثار ، تتفتح لها النفس ، فيقبل عليها يصيب من أطايبها  
أوفر نصيب ، ولا يلبث أن تمتد يده إلى قلة تعطر ماؤها بقطرات

من ماء الزهر ، فيترشف من عندها رشقات منعمة كأنها على فم رنات  
لحن طروب .

وعن قرب منه يتراءى عود ممشوق ذو وجه ضحوك ، وعين  
مكحولة تمتد منها نظرة حذب إليه ، لتكون طوع إشارته فيما يوفر  
له الراحة والدعة

يبد أن الدهر لم يشأ أن يدع سماء هذا البيت صافية لا تسجها  
الغيوم .

تلك هي العروس قد حال عليها الحول في ظل زوجها ،  
وما زال البيت مجدبا من تبشير الخصب المنشود .

فتحدث الناس في أمر الزوجة العقيم ، وحاولت الألسن أن  
تنفذ إلى صدر الزوج توغره على تلك الشجرة الخاوية ، فلم يدع  
« مصيلحي » بابا إلا قرعه يلتبس عنده الفرج ، وجعل يتسمع  
إلى ألوان من النصيح والإرشاد ، وانقلبت « ريحانة » في مصطارع  
حياتها الجديدة كأنها كعب الزهر يرمى به الزمن على بساط الخطأ ،  
فإن طاشت الرمية أعيدت التجربة مرة بل مرات .

على هذا النحو من التجارب والمحاولات سارت المرأة في ملتطم  
لا يستقر لها قرار ، فالיום هي عند عراف يستطلع من أنباء الرمال  
سطور القدر المكتوب ، لتتلقفها « ضيعة الذخيلات » حيث تزور



جذعا أثيلا له فيما يدعون قدرة نفاذة على درء العقم والإجداب .  
وأطاعت الزوجة ما أمرت به ، فعمدت إلى مسمار أنفذته في  
صلب الجذع ، واقتطعت من حاشية ثوبها مرقعة عقدتها أنشودة  
حول المسمار إلى جانب ما يزدحم به الجذع من مسامير مكسوة  
بالمزق تبدو بها الشجرة كأنها عروس محلاة بألوان من الأكسية  
والثياب ، ومالت المرأة على غدير تغسل من مائه وجهها سبع  
مرات ، ثم تغترف منه غرفة تعبها عب الصديان .

وإن تنهى إلى القرية نبأ قتيل لم يواروه بعد ، عجّلوا بها إليه  
تنخطاه مرة بعد مرة قبل أن يسار به إلى مشواه الأخير ، وتفاجأ  
في الحين بعد الحين بشيخ وقور عريض اللحية كسيح جيء به إليها  
لكي يزودها من التأمم والتعاوين بما يزيل الموانع والمعوقات .  
وهكذا دارت عجلة الأيام ترضن على الزوجين بالسكينة والصفاء .

وارتحلت « ربحانة » ذات يوم في صحبة أخيها تمارس تجربة  
جديدة على مسيرة أيام من قرية « المعاتيق » ، وكان على « مصيلحي »  
أن يزجي ليلته وحيد الدار ، فلزم الباب يمينه له عشاء يتشاغل به  
عن ملالة الوحدة ووحشة التفرد والانعزال .

وفيا هو يدبر أمره إذ مثلت أمه حياله عاقدة الجبين تدنى منه  
خطاها في تودة ومهل .

رباه... ماذا حملها على أن تزوره في دجوة الليل؟  
ليس من مألوفها معه أن تجشم نفسها زيارته إلا لخطب يلم  
ومشكل يتعقد .

وحلق إليها ينظر ، فرآها كأنما هي في غسق الليل قطعة منه  
تحمل في طوايا لبوسها الأسود وخمارها الأغيش أو هام الليل  
ومفزعات الظلام .

واقترب شبح الأم ، فعقدت البغلة لسانه ، وجمعت أوصاله ،  
ولكنه تمالك ، وتنحنح يطلق لسانه بالتحية ، فغص حلقه بجملة  
ترحيب فائرة .

لم تعر المرأة اهتماما ، وتابعت سيرها في خطاها الزاحفة تلج  
الدار ، فتحامل الابن يقتلع جرمه وتبعها ، يتغشاها صمت ،  
وانغلق الباب ، واحتوتهما قاعة الدار .

وجلست المرأة في زاوية قاصية تصلح من خمارها وتسوى  
ما تشعث منها ، مخفية قدميها تحت عودها الساق ، وشغل عنها  
« مصيلحي » هنية بالمصباح المعتم يعرك مداره فتتهز ذبالته متوهجة  
تمزق وحشة الظلام ، ثم أقبل على أمه بوجهه يتبينها ، فظفر بها  
في ركنها مطرقة تنفرس فيه مليا ، وهم ييادرها بالكلام ، فاستوقفته

المعجوز بإشارة من يدها ، فذابت الكلمات على طرف لسانه ،  
ونطقت الأم تهمهم :

ربما تساءلت لماذا جئتك في غيبة زوجك ؟ . الحق أنى رصدت  
هذه الفرصة لأطرق دارك وأخلو بك . . . الأمر هين . . . وما  
أنا مخفية عنك منه شيئاً . . . أنا أمك أحب لك السعد والخير .

وتجتمع ، مصيلحي ، يللم حواشي جلبابه يستمع في شيء من  
الفتور والضيق إلى ذلك الحديث المعاد تتخذه أمه دهليزاً كلما  
أرادت سرد مسألة لها في نفسها شأن وخطر ، واعتمد رأسه  
بمساعده ينتظر العاصفة وشيكة الهبوب .

— أنت تعلم أن للآلهات منزلة أشاد بها الله في كتابه العزيز...  
لا تنس ذلك يا بني . . . يا دأبا سويلم ،

وانتبه الرجل يرأى بعينيه وقلبه يتفزز ، فاستأنفت الأم  
تقول في اقتضاب :

بات واجبا عليك أن تكون لك زوج ولود .

ففغر فاه يغمغم في وجوم :

زوج ولود ؟

فاستأنفت المرأة تبين عن ذات نفسها فتقول :

أمك شارفت نهاية العمر . . . تتمنى أن تكتحل عيناها برأى

حفيد لها تهدده بين ذراعيها وتؤنس به وحشتها . . . أفتريدى  
أن أرحل عن هذه الدنيا ولى فيها تلك الأمنية الظمأى ؟ . . .  
« أبا سويلم ، . . . أريد أن أرى « سويلم » قبل أن تحين وفاتى .  
وسعلت العجوز سعة جافة ، وهى تهمهم فى منصرفها عن  
الدار :

لم يكتب مثل الأجداد : « من لم تنجب فإطعامها حرام » .  
كانت الجمل وهى تمرق من فم الأم كأنها نصال تنشب بنياط  
قلبه فتدميه .

ماذا اقترفى فى دنياه لتجعله الأقدار هدفاً لذلك التجنى المرير ؟  
وما لتلك العجوز يحلو لها أن تغيض هناة بيته ، وأن تشوب  
صفاء عيشه ؟

فلترحل عنه ، لتدعه عصفوراً طليقا يفر د على أفنان سعادته  
لحن الهدوء الاستقرار .

فيم العجلة . . . ؟  
ما هو إلا حول تقضى منذ تزوج ، وهل يكفى حول واحد  
ليأس وقنوط ؟ .

صبر قليل .

ألم تعلمه الأرض التى يزرعها أن يتانى ؟ .

كم من مرة بذر حبا ضاع في بطن الحقل ، فلما عاد إلى الأرض  
يبنر حبا جديداً أنبتت من كل زوج يبيع .  
لاضير عليه إن صبر ، وما من شيء إلا وهو مرهون بقدر .  
ولكن ما حيلته مع أمه ، وهى صعبة المراس ، صلبة القناة ،  
ما تعلق إرادتها بشيء إلا ألحت في إنجازه لا يعتاقها أمر ؟

تواردت هذه المناظر والصور تلوح لعيني « مصيلحي » وهو  
جالس على مصطبة الخفارة بباب الدوار ، لا يكاد يفيق من  
مشاغله وهمومه .

ومالت الشمس للغروب ، فخرج « مصيلحي » من عباته يتمطى  
نافضا عنه التخاذل والفتور ، وتلفت يمنة ويسرة يستقبل طلائع  
الليل الزاحف وراء الأفق ، فما لبث أن صلب عوده النأى يسلم  
قدميه إلى مداسه قاصداً حافة الغدير .

وهناك جلس يتطلع إلى صفحة الماء العكر ، ويرشقها في الفينة  
بعد الفينة بحصيات ، كما كان يفعل في فجر صباه كلما حز به نائبة أو  
ألم به ضيق .

واستسلم لعاداته المألوفة يستجلي الماء وهو يتلقى الحصيات ،  
فبه تحش في دوائر تتدرج من ضيق إلى سعة ، كأنما هى رأس غريق

تطفو خصائل شعره على مجرى الغدير . . . فتملكته رجفة ،  
وتواردت أنفاسه ، وألنى نفسه يندفع صوب الغدير كأنه يبغي  
تخليص زوجه من مصيرها الموهوم .

وما نشب أن انقلب إلى داره يطرقها في خطا فساح ، يتفصد  
منه العرق ، ودخلها كالمصعوق يصيح :

« ريحانة ، ... « ريحانة ، ... أين أنت ؟ »

فظفر بصوتها المنغم يحجب :

أنا هنا يا « أبا سويلم » ... أهى لك العشاء .

وبرزت له من مكناها مياسة في عودها الرطب ، يتلألأ جبينها  
من بشاشة ، فما إن أحسها حتى احتواها صدره الراجف يضمها في  
صمت ، ويقبلها في احتياج .

فسمت إليه بعين ملؤها التساؤل والاستخبار تقول :  
مالك ؟ ...

فأجابها مبهور الأنفاس :

لاشئ ... لاشئ .. الحمد لله ...

وانفلتت المرأة تحضر الطست والإبريق ، على حين انفرد  
« مصيلحي » بنفسه يستلقي على الحصير ينشد غفوة ورغادة بال .  
وما إن مالت زوجته على قدميه تدلكهما في رقة وحنو ، حتى

ألقى عليها نظرات مشبوبة يتفحصها ويتملاها ، وكأنه ينظر إلى  
سعادته توشك أن تفر منه ، فأقبل يتشبث بها في حمية ، ويضمها  
إليه يغرقها في فيض من قبلات .  
وأوى « مصيلحي » إلى فراشه ، وأسبل جفنيه ، فتملكهما  
سبات .

وفي مطلع الفجر شوهده الرجل مهرولا إلى زاوية القرية ينشد  
شيخها « إدريس » ، فأصابه في الحراب يؤم المصلين وصوته يترنم  
بآى الذكر الحكيم ، فأقام خلفه ، يؤدى الصلاة غاشع القلب ،  
مقفل الجفنين ، ضارعا إلى الله ، يسأله الهداية والخلاص .  
ولما قضيت الصلاة تقدم « مصيلحي » من الشيخ « إدريس »  
وهو يتمم بأذكار وتسابيح ، فأخذ مجلسه بجواره حتى أكمل الشيخ  
تمتمته ، فهمس في أذنه بكلمات هزته في مجلسه ، وأمالت رأسه  
من طرب وهو يقول :

ومنى كان ؟

— الليلة ... والفجر يلوح .

إنها لرؤيا صادقة ... رؤيا الفجر لا تكذب ... قص على  
ما كان ...

وانطلق لسان « مصيلحي » يبسط حبله العجيب :

ألفيت نفسي — والحلم لا يكذب عليه — مخطوفاً من بلدى  
معصوب العينين ، أهبط صحراء يترامى بساطها العسجدى عن يمين  
وشمال ، ورميت ببصرى ، فما وقع إلا على فضاء موصول بفضاء ،  
وفيما أنا أجاهد الريح إذ مادت الأرض وانقلبت أخاديد وفتحات ،  
ونخفت وطأة الزوابع ، فعم الأرض سكون ثقيل ، وإذا بصوت  
رقيق ينادينى ، فتلفت أتبين ، فأبصرت شيخاً عليه بياض باسطلا  
يده إلى " ، فأقبلت عليه أصافحه ... فقال لى فى صوت صافى النغم :  
لا تخش شيئاً يا دأبا سويلم ، ... عفا الله عنك ... لا تياس  
من رحمة الله . فرج الله قريب ...

ثم اعتنقنى يقلدنى وشاحاً أخضر ، وماعتم أن غاب شبهه عني ،  
وتضاءلت الأرض تنكش ، وثار الزوابع عوداً على بده ،  
فاستيقظت من نوى على صوت المؤذن يكبر الله ...  
وسكت « مصباحى » وهو يرتجف .

واهتز شيخ الزاوية يهتف :

أنت رجل مبارك يا دأبوسويلم ، ... أتدرى من كلمك ؟ ...  
لأنه سيدى « المغاورى » ... أبشر ... أبشر ... وما هذا الوشاح  
إلا بشارة منك بتحقق أمل عظيم ... الفاتحة لسيدى « المغاورى » ،  
رضى الله عنه وأرضاه .



وفي الظهيرة من غد شهدت محطة « القاهرة » شيخاً ضريراً  
حضامر العود تأخذ بيده ريفية مليحة يستر وجهها خمار رفاف ،  
ومعها ريني قوى العضل ، عريض المنكبين ، عليه سياء الفتوة ،  
وهم ينقلون خطا هياة بين جموع الوافدين . وهبطوا الميدان  
الفسيح في ملتطم الزحمة يستخبرون ويستدلون .  
وماهى إلا أن أقلتهم مركبة تقطع طرقات المدينة المعبدة ،  
تقارة تنفسح وطورا تضيق ، حتى أسلمتهم إلى أطراف المدينة  
يعلوها جبل الجيوشى أجرد مغبراً ، كأنه غابد في تنسكه فض عنه  
لبوس الترف والتشبع بمسوح الرهبان .  
فتوقفت المركبة ، وسمع صوت الخوذى بهمهم :  
هنا ما تنشدون ... لقد وصلنا .

ونزل الجمع من المركبة يرتقون درجا من الحجر أوفى بهم على  
كهف غائر في بطن الجبل ، يستكن فيه ضريح ولى الله « المغاورى »  
وعلى بابه حارس مهيب الطلعة تتهدل فوق صدره لحية شهباء -  
فتقدم منه الثالث الريني ، فأشار إليه يهديه الطريق ، فاندفع الرفقة  
الثلاثة يقطعون سردابا خاشع الضوء ، تتناثر على جانبيه قبور  
عليها سكينه الموت وجلال الفناء .

وأوغلوا في السرداب حتى بلغوا منتهاه حيث مقام ولي الله  
« المغاوري » ينفح منه عطر زكي .

ومن ثم دخلت « ريحانة » تطوف بالضريح ، وتتمرغ على  
أديم الأرض من حوله ، كما تصنع رفيقاتها من الزائرات .

ورجعت إلى زوجها ومعه شيخ الزاوية يأخذون طريق العودة ،  
وملء نفوسهم رضا وتفاؤل وإيمان ...

وتقول القصة فيما تقول :

إن « أبا سويلم » و « ريحانة » عاشا في ثبات ونبات ، تحف  
بهما ذرية من بنين وبنات ! ...

## حساء الدجاج

دلف الأستاذ « تيسير » مندوب مجلة « الإنسانية » إلى بهو الاستقبال ، يضرب الهواء بمنكيه العريضين في خطا فساح ، وساعده مبسوطان لتحييتي ، تعبر فمه ابتسامة ملق باردة .  
مددت له يدي أصافه وأرحب بمقدمه ، ثم أومأت إلى مقعد.  
وأنا أقول :

شرفتنا ... تفضل بالجلوس يا أستاذ .

فلم يكديستوى على كرسيه حتى زحمتني من فمه تحيات بليغة .  
منتقاة اللفظ والعبارة ، بيد أنك تحس من إلقائه إياها أنها أنشودة .  
مكرورة يصدق بها بين يدي مختاراته من الشخصيات ، ملتصبا  
عندهم مايوشى به مجلته من أخبار وأمرار وأحاديث .  
وفما كان لسانه يتشقق بالعبارات الرنانة ، كانت عينه تنفض  
أثاث الحجرة يمنية ويسرة ، كأنه يحصى ماحوت من رياش ورسوم  
وطرف ، ويده تترأخى على المنضدة القرية منه وتعبث على ظهرها  
فتتناول العلبة الصدفية لتفتحها تستخرج منها لفافة تبغ ، ومالبث

أن ألقم فيه إياها يجتذب منها الأنفاس في شغف وطف .  
وأقبل على " بوجهه المسنون يقول رزين الصوت :  
لعل " مجلة الإنسانية ، تروقك . . . فثلك في استنارة فكره  
موسلامة ذوقه خير من يقدر ما يبذل فيها من مجهود .  
فأجبتة بجمال :

لاشك أنها مثل طيب للتقدم الصحفي . . . شخصيتك ظاهرة  
في كل صفحة منها ... عليك يقع العبء الأكبر لاريب .  
فتطلع إلى وقد بسط صدره وتعالى بهامته مزهوا ، تتراقص  
على شفتيه الجبل في تحمس :

وأى عبء ياسيدى ؟ . . . رغبات الجمهور متجددة ، وذوقه  
ألوان . . . من هنا تنشأ الصعاب . ومن هنا أيضاً تكون الصحافة  
فنا ريفياً يتطلب قوة الابتكار ، وجدة التفكير ، ورهافة الحس .  
— هذه هي الصحافة حقاً ... شد ما تبذل في سبيل إعداد  
الموضوع الطريف ، واصطياد الخبر اللامع .

وأطرق لحظة يهز قدميه في احتياج ، وقال كأنه يناجى نفسه :  
حتم على أن أملاً عشر صحائف بين يوم وليلة ، وإلا تعطلت  
المجلة عن مواعدها المعلوم . . . الصحافة جهاد . . . جهاد مريع . . .  
لا بد للصحفي أن يعسول على مقدراته وكفائته . . . لا بد أن يخلق

الموضوعات خلقا ... الصحفي يحقني وراء أكثر الموضوعات  
التي تظهر بأسماء الكبراء وغير الكبراء .

وتلاطمت الكلمات وقتاً على شفتي الأستاذ « تيسير » ، ثم  
انهمر منهما سيل فياض من أسئلة متشابكة يأخذ بعضها بزقاب بعض ،  
وإن اختلفت مناحيها في شئون الحياة ، وهو في ذلك كالباحث  
عن هدف يطمئن إليه ، أو لكانه طائر حبيس لا يفتأ ينقر أسلاك  
قفصه هنا وهناك ليفتش عن منفذ يخرج منه .

وما إن عرف من أمرى أنى أعزب لم يسبق لى الزواج ، حتى  
أزهرت عيناه ، وقلق فى مجلسه ، وطفق يفرك يديه وهو يهمهم :  
حسن جداً ... هذا موضوع ... تقشرف « مجلة الإنسانية »  
فى شخصى الضعيف بأن تسألك : لماذا آثرت العزبة ؟ وماذا صدف  
بك عن الزواج ؟

— هذا شأنى الخاص ... أحسبته سلعة تطرح فى الأسواق ؟ ...  
ماذا يعنى قراء مجلتيك من أمرى ؟  
— سيدى لا يخفى عليه أن العلم يفتقر إلى التطبيقات الاجتماعية ،  
ومنها يستمد غذاءه ونماءه .

— ما للعلم ومالى ؟  
— سيدى كائن حى ، ونموذج بشرى ... له من سعة العقل

وسمو المكانة ما يجعل لتصرفه قيمة ، فهو لا يسلك مسلكا إلا استوحى فيه سداد الرأى ونفاذ البصيرة .

— أتحسب أن حياتنا الشخصية تتخذ فى مجراها هذا الميزان .

الدهيق ؟

— وهل يجرى المرء تصرفاته عبثا ؟ . . هناك وجهة نظر .

— المرء مسوق فى حياته الاجتماعية وفق ملاسبات ومقتضيات .

خاصة به ، لا شأن لأحد بها سواء .

— إذا أمسك كل امرئ عن الجهر بالعوامل التى تدفعه إلى .

سلوك معين ، خسر العلم ، ووقف دولاب المعرفة .

— أتتذكر أن لكل امرئ حرية شخصية يستأثر بها لنفسه ،

تبقى مكنونه فى قلبه ، لا يحق أن يجهر بها فى أسواق الفكر

ومنازعات الرأى ؟ .

— لا افتئات على الحرية الشخصية إذا لم تكن ثمة أسرار

لا يجوز البوح بها ، خشية أن يكون فيها إساءة وتشهير . . . فهل .

فى الأمر أسرار ؟

— أية أسرار ؟ . . . ليس ثمة أسرار . . . كل ما فى الأمر أنى .

نشأت عزا با فظلت عزا با . . . أليس من الزواج بد ؟

— حتم أن تكون هناك مؤثرات هى السبب فى هذه العزبة . .

- أية مؤثرات ؟ ... لو أردت الزواج لفعلت .
- والمرأة ؟
- ما للمرأة ؟
- والحب ؟
- أى حب ؟ ... لى قطة أعطف عليها ، وآنس بها .
- ألم تسكن فى حياتك امرأة ؟
- ماذا تعنى ؟
- وفترة صباك ... ألم يكن فيها عاطفة ؟ ... عاطفة تجلت
- خلالها أطياف المرأة ، ومغريات الشباب !

وكانت سكتة يتراءى لى خلالها حديث الناس عن الحب والمرأة والزواج ، ذلك الحديث الدائب المسثوم ، كأنه مضغعة لا غنية عنها لإنسان ، وكأنما لا ينجو منها شخص .

فى هذه اللحظة شعرت كأن ساعدين مفتولى العضلات يهبطان بى فى قرار جب ظلماته أطباق على أطباق ، فأفاضت وحشته على نفسى القلق والاضطراب .

لبثت فى هذا الجو المرهوب أعانيه ، حتى صلصل باب ينحسر

عن شمس مصبحة تمرقت حيا لها غياهب الغموض ، ومعميات.  
الظنون .

فتجلى لى رحيب مخضوضر ، كسته الطبيعة وشى الربيع .  
لمحت دوحة فيناثة فى أفيائها تربعت أنا ود آمنة ، رفيقة صباى .  
وصفية أحلامى ، تجمع بيننا جلسة أنيسة .

كانت بين أمرتينا وشائج ود ، فدعاهم جدى أن يحلوا ضيوفا  
بضيعتنا بعض وقت ، بغية النزهة والمتعة بالريف ، ولم يستقط .  
جدى من الدعوة د عزيزا ، ابن عم د آمنة ، وهو صبي ماكر  
شغوب ، لا آنس به ولا هو يأنس بى ، ولكنه يدارينى وأداريه .  
وضحوة هذا اليوم انتهزت فرصة غيبته فى أطراف الضيعة  
لبعض الشأن ، فدعوت د آمنة ، إلى الخروج معى ، واستسلنا .  
لتلك الجلسة نستمرى . شهد الحديث فى فيض من نشوة غامضة ،  
تتحمس كنها لما نجده بين ضلوعنا من هيبة واضطراب .

كلانا كزهرة يتفتح كما لتستنشى هناة الحياة فى بواكير  
العمر .

أكان هذا أول نغم يضافح السمع من لحن الغرام ؟  
كل ما دار فى ذلك اليوم من أحاديث ، لبيد ولعيني على صفحة .



الوجود ألقا شفافا ، كأن توالى الأيام لم ينل منه ، وكان غبار  
النسيان لم يعف عليه .

ألقت « آمنة » بظهرها إلى جذع الشجرة ، وقد بسطت ساقها  
في رقة واسترخاء ، وتكسر ثوبها على جسدها الريان يمثل مفاتن  
أنوثتها الناشئة .

وبدت مغضنة الجبين ، على محياها سهوم .

فأقبلت عليها مشبوب النفس أسألهما في تشوف وفضول :

ما بك يا صغيرتي ؟

طالما نعت على أن أخطبها بذلك النداء ، غير أنى وجدت  
فيه مرضاة للهو ، ومجلبة للبداعة ، فاثنت عليها أقول في  
تظرف :

صغيرتي . . . صار حيني .

فاعتدلت في جلستها جامدة الملامح ، ودمدمت :

إن لم تكف عن هذا الوصف صدفت عنك . وعدت إلى  
الدار أختني فيها .

وهمت أن تنصرف ، غير أنى أخذت عليها الطريق ، وقلت :

فيم هذا الغضب ؟ . . أنت ورب السماء قلقة . . . ما الخطب ؟

— لا شيء . . . اتركي وشائي .

وتلآلات في مقلتها دمة حيرى ، فاهتز كياني ، وصحت مبهور  
الأنفاس :

أقسمت عليك بحق... بحق صداقتنا ، أن تخبريني . . . ما بك ؟  
فأنكشت في جلستها ، وتعثرت الكلمات على شففتها ، فسكتت ،  
فأقبلت عليها مشبوب الوجدان أتوسل وألح ، فهممت راعشة  
النبرات وهي تسرح بصرها في الفضاء :

إن صغيرتك يدور في شأنها حديث خطير يختلط فيه اسمها  
واسم « عزيز » . . . كان ذلك بين أبي وأمي . . . ليلة أمس ، وهما  
في مخدعيهما يتسامران .

فغمغمت وأنا عاقد الجبين :

ماذا تعنين ؟ . . . انظري إلى .

واجتذبتها مأخوذ النفس أصعد فيها النظر ، وانبرى صوتي  
يحلجل غضبا :

هل اتفقا على زواجك ؟

فنكست رأسها ، وتشاغللت بعود تفككت به العشب ، وقالت  
في صوت مكتوم :

كادا يتفقان .

ووافقت أنت على أن تزوجى « عزيزاً » ؟

— أنت تعلم شعورى نحوه ، ورأى فيه .  
 وتدفع صوتى قوى الجرس :  
 يدى هذه جى لك ، تذود عنك ما تسكرهين .  
 وفى هذه الأثناء سطع فى الجو غبار تجلى عن جواد يسابق  
 راكبه به الريح ، فأرمأت أقول والدم يتصاعد إلى وجهى :  
 هذا ابن عمك راجعاً . . . يحسب نفسه فارس الفوارس  
 ينهب الطريق نهباً .  
 فأجابتنى فى سخرية :  
 فليذهب ما يشاء ، وليستعد عنى ... أشمئز لمراه . . . ياله من  
 متعجرف سخيف !  
 — ثقي أنك لى وحدى ... ولن يسلمنى إياك أحد .  
 وأخذت ألوح بيدى فى تهديد ووعيد :  
 ان تكونى لغيرى ... لا بادرن بخطبتك .  
 وفى موعد الغداء تحلقنا جميعاً حول المائدة ، وتقدم منا  
 « عبد السلام » ، وهو شيخ متهدم ، خدام جدى منذ فاتحة شبابه ،  
 فأبقى عليه فى خدمته ترفقاً به ورعاية له .  
 وتحامل الرجل على قدمين ترتعدان ، وفى يديه وعاء يترجج فيه  
 حساء دجاج .

ودنا منى يدرج فى خطوات قلقة ، وما كاد يتلبس مقعدى حتى أحسست قطرات ساخنة تتناثر ، وما لبث الوفاء أن سقط على رأسى ، فاندلق منه الحساء كأنه السيل يغرقنى فى فيضنه . فنهضت من فورى تذهلنى البغته ، وتسودنى الحيرة والارتباك ، وأنا أزمزم وأججم ، وإذا بطرفى يأخذ «عزيزاً» مقهقها يصفق بيديه . وهويل على «آمنة» ويغمزها ، فتبادله ضحكات رخيصة ، أشبه بضحكات إبليس لعين .

ووجدتى أزمزم وأنا أحدها بنظرات تتوقد :  
فيم فضحكين يا صغيرتى ؟ ... الأجدرك بك أن تبكى .  
وانطلقت من الحجرة أرتعد ، يكاد الغيظ يقتلنى ، فاحتوانى مخدعى تلبثق من مقلتى دمة التبايع ، و «آمنة» تتمثل لى شائهة تثير فى نفسى ألوان الزرابة والامتهان .

... وهنا غامت لعيني الشمس المصبحة ، فاختلطت على المشاهد والصور ، وأحسست كأن الساعدين القويين يحملاتى من قرارة الجب ، صاعدين بى إلى مجلس الأستاذ «تيسير» وهو يثرثر بحديثه عن العزوبة وما يمتحنى وراءها من أسرار ...

## أمسية

« سرور أفندي عزب ، موظف بهيئة قناة السويس ، لبث في عمله بها زهاء عشرين حولا . أمضاهن جميعاً في مراقب استطلاع السفن ، ينتقل من مرقبة إلى مرقبة ، حتى انتهى به المطاف إلى أولى هذه المراقب على طول الطريق .

مبنى هين على حافة القناة يتألف من حجرات تغص بآلات الرصد المتباينة ، يشمخ فوق ربوة عالية ليشرف منها على بطن القناة ، وقد شقه صراع البحرين الأبيض والأحمر ، فتناثرت منه الأحشاء على ضفتيه في العراء نهبا للأنواء .

طلق الرجل يعمل موصول الجهد لا تتزاور عينه عن صفحة اليم ، ملقية شباكها أبداً لتصيد الجوارى المنشآت ، وهي تمخر العباب في مغدى ومراح .

إنها لتشخص على مد البصر منهوكة الأوصال ، مبهورة الأنفاس ، من فرط ما كابدت في سفراتها من عنث وإرهاق ،

فتتهادى على مهل حذرة الخطأ تنشد الهداية والأمان ، فيتلقاها بفيض من إيماءاته وتلويحاته ، يمد لها سبيل الدعة والاستجمام ، ثم تزول عنه بعد حين ، وهو يشيعها بمثل ما استقبلها به من حفاوة وتعهد وتوجيه ، دون أن يتاح له يوما حظ الظفر بإحداها ينعم على ظهرها بساعة أنس واستمتاع .

ومنذ فجر شبابه ونفسه تنازعه أن يتحدى الأفق العنيد ، ذلك الأفق الذى يرتد عنه بصره وهو حسير ، مقتحماً خطه الدقيق فى جسارة واجترأ ، فينفذ إلى ما وراءه يستشف فى تأملات الأحلام ما غاب عنه من مباحج الدنيا وأسرار الوجود ، فينهل منها ما يطمح إلى مشاهدته من عوالم ومرئيات ، كأنما ينهل شهداً معسول المذاق .

تخطى الرجل سنينه طورا بعد طور ، يوثق عزمه على رحيل . وتمثلت الأعوام العشرون كأنها فنان قضى تلك الحقبة المديدة فى صومعة الزمن ، مقبلا على إزميله ومنحسته ، يصوغ من نفس « عزب أفندى ، كونا عريضا توشيه الأزاهر والرياحين ، وتتجلى فيه عرائس حسان تناجيه فى يقظة ومنام ، وتناشده تحقيق الأحلام . ومرعان ما تنفذ بصيرته تنقل قدميه بين المدائن ، وتجتاز به مضاباً وأطواداً يصنفها خياله ، ويشكلها هواه .

لطالما ارتحل إلى القارات الخمس ، يهبط ربوعها ضيفاً كريماً  
وسائحاً فطنا يحوس خلال مختلف البقاع ، تسكتحل عيناه بالثلوج  
تعمم نواصي الجبال ، وتستمتع نفسه بجمال السهول عليها مروجها  
الخضر ، وقد ازدانت بمجدول يترقرق فيها الماء كأنه اللجين المذاب .  
كان الرجل يحى أماسيه فى مرقبته العالية يدبر كلفة السفر ،  
ومعدات الرحيل ، ولا يفتأ فى شتى مراحل حياته يعمل على تنمية  
رصيده بمجديد من الادخار ، فتقفز الأرقام من سنة إلى سنة  
قفزات السلحفاة ، حتى ربت وترعرعت تأذن لصاحبها أن  
يبدأ المطاف .

تتابعت تلك الذكريات كأنها البروق الخواطف تلتمع فى مخيلة  
« سرور أفندى عزب » عندما دلف يتخطر مزهو الأعطاف  
يشق الشارع العريض فى طريق أوبته من شركة البواخر ، بعد  
أن ظفر بتذكرة الخلاص ، واستأصل من نفسه أوجاع الحرمان .  
وفزعت يده إلى جيب حبلته يتلمس الوديعة ، ليتأكد له أنها  
تحتل مكانها الأمين من حرزها المسكين ، وتمسحت بتذكرة السفر  
أنامله ، فافتت نغره عن ابتسامة متوردة ، وانساب على شفثيه صغير  
يتمشى فيه حنين ، ثم اعتدل يزّر غطاء جيبيه مبالغاً فى التوثيق  
والإحكام .

وهرع إلى منصدته في مشربه المعناد ، يتبين الخلان ، ليزف  
لأبيهم بشراه ، واقتحم المشرب طلق الأسارير ، ووقف يستجلى  
من فيه ، فلم يظفر بأحد من رفاقه ، فخطا إلى الساقى يلقي إليه بالنبا  
العظيم ، وتركه يتمصص الخبر ، واسترخى هو على كرسيه يستنشى  
نفحات النسيم ، مطلقا العنان لفكره ، يرتع به في أخيلة وأوهام .  
وهرول الخادم يوزع النبا يمنة ويسرة بين مصدق ومكذب ،  
وشهدت الحانة في تلك العشية مولد جواب آفاق من طراز قشيب  
سوف يقهر البحار ويكتشف الأسرار ، ويلم بما لم يلم به من سبقه ومن  
سيتغيا أثره من بعده في عالم الترحل والأسفار من أخبار وألطف  
انثى يوم السفر ، وياله من يوم بسام المحيا وضاح الجبين .  
وأهل « عزب أفندى » على عتبة داره في حلة شوكاه قائمة  
الزرقعة ، تحاكي في زيهما لبوس النوتى ، وفي يدهم قبعة بحرية ، بيضاء ،  
يتوسطها خطافان متقاطعان ، يحتوى عليهما حبل مجدول ، توشيه  
خيوط رفيعة ناصعة التذهيب ، وقد انتفش شاربهم ، والتمع في عينيه  
وميض الرضا والانتصار .

ولحق به خادم كهل ينوء بما حمل من حقائب المتاع ، واتخذ  
طريقه ثقيل الخطا إلى مركبة الخيل ، فأردعها الحقائب ، ووقف  
بجانبا موقف الحارس الأمين ، ريثما يستقلها سيده إلى المرفأ الكبير .



ولبت «سرور أفندي عزب» ، غير قليل يتوسط لمة الأقارب  
والأصدقاء يحاذيهم حديث الوداع بنفس جياشة وفؤاد نشوان..  
وبعد هنيهة ثاب إليه الخادم يغمغم له بكلمات ، فإِنْ وعاهما  
معه حتى تطلع إلى ساعته ، وماعتم أن أقبل على الجمع يصاحهم في  
عجلة وإسراع ، قائلا : لقد حان وقت الوداع .

ورفع يده بالتحية ، وانتحى صوب مركبة الخيل يرتقيها ،  
فأدركه صديقه «الحاج عويضة» ، البدال يعتنقه في حماس وينثر  
على وجهه القبلات ، ليجتذبه بائع الصحف وينثني على يمناه يشد  
عليها ، ليلقنه «الشيخ عفت» ، قارئ آيات الذكر الحكيم وهو  
يتمتم برقيته ، ليتداوله أخيرا جمع من الجيرة يسلمون .

فما لبث الخادم أن فرقهم يفسح لسيدته طريقه ، فنفذ «سرور  
أفندي» ، إلى المركبة يتصدر كومة المتاع ، عليه مسحة الزهو  
والاعتزاز .

وما همّت المركبة أن تتخطع ، حتى عزفت الخناجر نشيد  
«التوديع :

مع السلامة يا «سرور أفندي» ، ... مع السلامة ! .  
وكرت المركبة تؤم الميناء ، لحوافر جوادها على الأرض  
الصلبة رنين شجو وحنين ، فاستدار «عزب أفندي» ، يشيع مثابته

بنظرة وداع حار ، وسما بيده يلوح ، ثم لوى عنقه يللملم نظراته ،  
وأقبل بها على حقائقه يحصوها في انبثاء ، وما إن اطمأن إليها حتى  
استوى في جلسته يصلح من هندامه ، ويتمالئ بهامته ، يستنشى  
الهواء الرخو في زهو وخيلاء ..

وشارف المرسى . فاسترعت السفينة رابضة تتألق تحت وهج  
الشمس . مشدودة إلى اليابسة بأمراس غلاظ ، ومن مداخنها تتعقد  
سحائب سود تجارى في مراقها الهواء في مسراه .

خطا الرجل صوب الباخرة يستوعبها في نظرة خاطفة . ومن  
ثم ارتقى سلمها يفعم قلبه مسرة وحبور .. وعرج إلى سطحها  
وكأله في حلم ..

وطفق يجتاب أرجاءها يتعرفها في حماسة الأطفال .  
ما للساعة تنبأطاً ؟ ...

ما لهم لا يفكرون وثاق الأسير ! ...

ما للمراجل الغالية لاتبعث قرقرتها أذاً بالسير ؟  
أما آن لبنت اليم أن تأخذ طريقها في البحر مستعجلة على الموج  
الدفاق ، تشقه بمقدمها المسنون كأنما هو سكين مشحودة ، تغوص  
إلى الأعماق ، فتبقر أحشاءه في يسر دون عناء . وهى منطلقة  
لاتهيب هذا الخضم المواج وما يكتنفه من مخاطر وأهوال .

وبفأة مرت في الباخرة سارية من الحركة والنشاط ، وانبعث .  
النواقي يحثون الخطا في همة ومضاء ، وصلصلت أجراس ، وجلجل .  
صوت حازم اللهجة يصدر آخر التعليمات .  
فاحتاج الرجل أيما احتياج ، وتوالت دقات قلبه تهزه هزاً عنيفاً .  
فاستند إلى سور الباخرة يسبقها بنظراته إلى الأفق البعيد .  
لا بد أنهم سأترون .  
عليه أن يدون مذكراته عما يجري الساعة أمامه من المجالي .  
والمرئيات .

هاكم النواقي يعملون .  
هاكم الباخرة على وشك الإقلاع .  
ما أروعها بدءاً وراءه ما وراءه من متع وملذات .  
لأنه يحرص على ألا يفوته منها شيء دق أو جل ، إلا أحصاه  
في فطنة وتبصر .

ليبحث خطاه ليتصفح كتاب سفره منذ سطوره الأولى ...  
واتقل الرجل يطوف بأرجاء الباخرة في تشقة وحماس ،  
يتطلع ويستجمع . كشأن ولوع بالطرف والألطف ، يتلقط منها  
كل ما اتصل إليه يده ، دون أن تنسرب منها سارية إلا كان له معها .  
جولة وشأن ..

وفي فورة احتياجه وتنقله ، عثرت قدمه بحزمة من  
حبال السفينة المتجمعة في ليات وعقد ، وكأنها الأفاعى تتحوى  
مختلفة الشكول والألوان .

فاختل توازنه ، واضطرب يتهاوى على أديم الباخرة ين .  
كأنما هو جذع صنم يعمل فيه الفأس ، فلا يتألك أن ينقض ، غير  
قادر على تماسك وثبات .

وطفق الرجل يلم شتاته ، ويستقبل من عثرته ، غير أنه شعر  
بجسده موثقا إلى الأرض لا يقدر على فكك .

هذه قدمه قد التوت عليه تفت فيها الصدمة ، وكأنما فقدت  
الحس .

لم يملك الرجل إلا أن يصيح طالبا النجدة ، نثفت إليه  
السواعد تحمله وتبين أمره .

وما مر إلا لحظات حتى كان الرجل ممدودا على محفة تنهادى  
به لتجليه عن الباخرة ، وهو يبعث إلى السفينة بنظرات ذاهلة ،  
وعلى رصيف البحر عجلت إليه سيارة الإسعاف تحويه .

فاختلطت في سمعه صلصلة أجراس لم يدر أكانت صغير  
الباخرة تودع الشاطئ ، أم كانت أجراس سيارة الإسعاف تشق  
به الطريق إلى دار العلاج .

وظفر المساء به «مرور أفندي عزب» ، وقد أضافه سرير  
عريض في المستشفى الكبير الذي يرقد فيه ، وأمامه قدمه عليها  
الجبائر ، وقد تطاول نظره من النافذة يرنو في تحسر إلى ملتطم  
العباب ، يحاول عبثاً أن يستوقف إحدى الموجات لتحمله إلى عالم  
أحلامه وراء الأفق العنيد ، وقد تحيرت في مقلتيه دمعتان ...

# م م

منذ ساعة ... وعيناه ترتصدان لها يحاول أن يسترعى ناظرها إليه . منذ خطا يغزو ملماه الليلي المألوف ، على أرباض القاهرة .  
تراه العين ينفض قامته على رؤوس النظارة حوله ، يستجلى من فتنته من الأوانس حين وقف يتطلع إلى حلبة الرقص ، فلم يقو أن يرد عنها طرفه ، وهي في بهرة الرقص ، تنساب منقلة خطاها على إيقاع النخم ، مريحة الأعطاف ، يزهو على فمها ابتسام ، ويومض طرفها لإيماض الأنس والابتهاج ، وقوامها اللدن يلين في في ساعد رفيقها بالغ الطورع والاستسلام ، مسامرة ما تشدو به الموسيقى من أنغام صاخبة كأنما هي آتية من الأحراج .  
وإذا به يسمع صوتاً متخشعاً يناديه من خلف ظهره ، فالتفت يتبين ، فزحمه ساقى المشرب بوجهه المقعب ، وشاربه المنتفش ، وفمه يتشأب عن رطانة إغريقية :

الأستاذ شلبي يدعوك ... على كأس من شراب في إلحاح .  
وأوما حيث يستمتع الصديق بمجاسة رخية ضاحك الأساير ،

كؤنسه صويحبات من غايبات الملهى ، ثم أردف الساقى غامزا  
بلحظة :

إنه يتعجلك .

فأجابه يبرطم :

خاتتك فطنتك عن مشاغلى الآن . . اغرب عنى .

وأشار إلى الساقى بظهر يده يقصيه .

واستأنف يراعى بهرة الرقص فى تطلع وحماس ...

وما أسرع أن أمسكت موسيقى « الجاز » ، عن نباها العنيف ،

فدوى فى القاعة تصفيق ، وانفض المتراقصون يسودهم اختلاط .

وفى تلك الفينة أفلتت فائنة المرقص عن العيون ، كأنها القمر

توارى وراء الغيوم ...

وبث الشاب المفتون نظراته فى جنبات الملهى يتلصص

ويتكشف بالغ الاهتمام ، وبعد لآى ظفر بها فى ركن قصى ، وفى

يدها منديل رفاف تلس به جبينها الوضاح ، لتيمط عنه ما يتلألأ

عليه من قطرات العرق يلثمه كما يلثم الندى جبين الوردة الألاق .

والتمس إليها الطريق وثاب الخطو ، فصادفته مرآة تمهل عندها

يتوسم مثاله ، ثم مد يده إلى زهرية عن كشب ، فاجتنى منها وردة

رشيقة ناطها بعروة سترته ، وتابع سيره صوب أنشودة الفؤاد ،

وملء نفسه فورة واعتزام ... ليهجمن عليها ، وليستأثرن بها ،  
وليردن عنها زحف الطامعين أن يكون لهم من رقصها نصيب .  
داناها .

فرم قدميه في لباقة وتأنق ، وانحنى في كياسة وتظرف ، وفاتحها  
يقول في تودد :

هل تسمح لي الآنسة بأن تكون لي معها الرقصة القادمة ؟  
وأجابته في ابتسامة عريضة مشرقة :  
يسرنى .

وطوت منديلها الرفاف تودعه حقيبتها .  
وتابع قوله في تلطف :

هل لي أن أتشرف بتقديم نفسي ؟  
وقبل أن يواتيه جواب ، قال :  
« عزت جودت » .

— لي الشرف ... « ليلي الجميل » .

— اسم على مسمى ... جميلة الليالي وزهرة السامر .  
ووقف يمتعها بألوان من الطرائف والنكات ، ريثما تتعطف  
على أسماعها ألحان الموسيقى تنهى فترة الانتظار .  
وكانت فاتنته قد أنست بحديثه ، واستطابت مفاكاته ،



فانبعث ضحكاتها صافية الرنين .

وعزفت الموسيقى يدوى نباحها المصطنع ، وعمرت بهرة .  
المرقص بالقصا ، فتبادت إليها الفاتنة وصاحبها يصيبان حظهما  
من متعة التراقص في نشوة وابتهاج .

أرسل الظافر المنتصر نظرة الزهو يتفرس بها في الوجوه .  
ثم جنح إلى رفيقته يسر إليها بضع كلمات أحالت أنظاوها إلى ..  
أرجاء الملهى تستطلع :  
من تقصد ؟

— هذه السيدة البادئة الشمطاء ... إنها لا ريب من سلالة .  
الأدغال .

— هذه ... ؟

— بل تلك التي تزحم المائدة المستديرة .

— أية مائدة ؟

— تطلعي يمنة .

— أيقنت ... تلك التي ترتدى الثوب المعصفر ، وتسدل على .

منكبيها شملة حضراء ؟ ...

ونظر يتبين :

لا ... لا ... ليست هذه .

وتابع قوله يرشدها مستعينا بإشارات رفيقة :  
ذلك هو الساقى يقف على مائتها الآن ... تبينى ... إنها  
ما فتئت ترقبنا بنظرات حداد كأنها بومة تنذر بالشر .  
واسترسل فى تعداد معانيها يستهزئ  
واختنقت الأنغام ...  
وهب إعمار من تصفيق ...  
وماج المزايقصون بعضهم فى بعض ، فتسللت الفاتنة وصاحبها  
يشقان طريقهما بين الزحام ، وطفقا يحوسان خلال الموائد فى  
ليات تلو ليات .  
فما إن جاز بالمائدة التى وقف عندها الساقى منذ لحظات ، حتى  
تباطأت د ليلى ، تقول فى غير مبالاة :  
ماما ... أقدم لك الأستاذ د عزت ، .  
ثم مالت إليه تقول :  
أستاذ د عزت ، ... أقدم لك والدتى .  
وأحس الفتى بالأرض تميد من تحته ، وبأوصاله يمشى فيها  
خمود .

ومدت له د ماما ، كفها تصافحه ، فاثنتى يودعها قبله الإجلال .  
فهمت د ماما ، أن تدعوه إلى جلوس ، فلم يملها ، وتعثر

لسانه في تأناة عجفاء يعتذر ، وألني قدميه تسوقانه إلى فرار .  
وشيعته الأم بنظرات كاشفة ، وهي تقول لابنتها :  
خجول ... ظريف ... ليتك جلس ... لماذا تركته ينصرف ؟  
صدرى انشرح له ... لماذا تمييني ؟ ... يجب ألا يفوتنا .  
وتمتم لسانها يسأل الله أن يهيء لابنتها زوجا من ذلك الطراز .  
واقفلت دليلى ، واقفة يتوضح على بحياها سماء التغيظ  
والنفور ، وهي تجمجم :  
ماما ... رجائي أن تسكني عن هذا الهراء ... بعدالة من  
زوج تقبله فتاة !

— ماذا يعنيه ؟ مهذب .. شباب ... خلاب .  
وبسطت كفها ترفع إلى السماء أمنية الأمهات اللبات .  
وضجعت الموسيقى تنوح ...  
فكتمت أنفاس الأمانة الغالية ، وطوتها في أنغامها الالهية  
تتحول بينها وبين أبواب السماء .

## الذبابة

تربع « الشيخ يعقوب المغربي » يحتل مكانه من المحراب في مسجد « السنجق » بمدينة « بغداد » ، تسامق على فؤديه عمامة مهندمة الوضع متسقة الطيات ، أما لحيته فإنها تشعشت مخفية بجامع الوجه ، إلا عينين فاعستين يترسل منهما وميض التقي والورع ، وما فتىء فنه تحت وطأة شاربته الثقيل ينفث جملاً مبهمه هي تهمات المسيح بحمد الله .

وتخلق حوله نفر من أتباعه جاءوا يسعون في طلب حكمة بالغة يقولها ، أو حكم في الدين يهدي إلى رشد وسداد ، أو دعوة صالحة تفتح لها أبواب السماء .

وشخصت الأبصار ترمق الشيخ الجليل في مجلسه المهيّب ، وقد تجلت على أساريره علائم الإيمان العميق ، وبعد هنيهة تدفع صوته قوى الجرس يلشد مواعظه ، مفصّحاً عن أسرار الخلق بعبارة حلوة ومنطق سليم لا يخلو من نكتة مليحة ، مؤمناً بأنه

ما من شيء فطر إلا لعلته ، وما من موجود إلا لغاية .  
فلا يلبث بيانه أن يلبس شغاف الأفتدة ، فتتايل الرؤوس  
من تمجيد وإكبار ، وتسترخى الجفون من توقيير وإعظام .  
وتابع الشيخ حديثه يلقي إلى الأسماع بالحكمة تلو الحكمة ،  
يتناول تارة ويتقاصر طورا ، حتى اختتم درسه بين التهلل  
والارتياح .

وما عزم أن زایل المسجد في نفر من خاصته وأتباعه ، ينيب  
إلى داره ، تحف به سماحة وصفاء .

ودلف الجمع في ليات الطريق ، وهم يقلبون الأحاديث ، حتى  
وافوا دار الإمام . فوقف الشيخ على عتبة الباب ، ثم اعتدل يلقي  
على الجمع تحية الوداع .

وهم الشيخ أن يلج ، وما إن خطا الخطوة الأولى في سبيله ،  
حتى تهافت عليه ذبابة اهترها وجهه ، فذبها يمينه وهو يتأفف ،  
فتطايرت تستقبل الفضاء في رقصات مضطربة تثرثر بغنان  
موصول .

وشق السكون صوت متخشع يستوقف الشيخ على استحياء  
يسأل :

مولانا أطل الله بقاءه يرى ما نلقى من عنيت الذباب ، يعكر

صفونا في تبجح ، ويزعج راحتنا في توقع ، ولا يفتأ يخرجنا من  
جلينا بطينته البغيض ورقصه المحموم . . . فما علة خلقه ؟ أفادكم  
الله وأبقاكم هاديا وسراجا منيرا !

أطرق الإمام قبل أن يجيب ، وأخذ لحيته بقبضة يده ، وألقى  
على مريده نظرة حذب وملاطفة ، وهو يتسمم ابتسامة إشفاق ،  
ثم مد يده إليه يربت كتفه وهو يهمهم :

لهذا يا بني حديث موعدنا به المجلس القادم . . . انتظر نبلتك  
الخبر اليقين ، ونشفي غلتك من مشكلة حيرت الاقطاب ودوخت  
الاحبار . . . هداانا الله ووقانا الزلل والشطط .

وفي غد استفتح الإمام حديثه في الحلقة يقول :  
سألتني أخ لكم في شأن الذباب : لم خلق على هذا النحو ، خصيا  
للإنسان ، يشوب طمأنينته ، ويشير حنقه ؟ . . . وإليكم من أمره  
حديثا عجبا .

زعموا أنه في غابر الزمان ، وسالف العصر والأوان ، لم يكن  
يسكن الفضاء إلا فقر من شعوب رحل ، تضنيهم أوصاب التنقل  
والأسفار ، وتحف بهم المكاره والأخطار ، بين صحراء عطشى  
مضلة ، وأنهار مزبدة نائرة ، وتلوج متبسة ، وغابات مغلقة  
تتقاضى على طريق الأمان أرباحا باهظة من أنفس وموآن .

وكان مما حدث أن استقر المقام بإحدى هذه القبائل في بقعة  
من بسيط الأرض بها ماء وخضرة ، فركن إليها القوم يصيرون  
فيها خفض العيش ونعيم الحياة .

وعشية أقبل كبير القبيلة في لمة من جنده وأصفياه يتفاوضون  
في أمر الرعية ، ويتدبرون من شئونها ما يفتقر إلى تدبير ، وأهل  
الخيام من حولهم هجوع .

وفيما هم سائرون أبصروا عن كشب منهم شبحين في شجار ،  
فأمسك كبير القبيلة عن السير يستطلع الأمر ، وفي أعقابهم شخص  
الجمع يتبينون خبيثة ما يدور في جنح الليل من ضغائن وأحقاد .  
وسرعان ما أبصروا ظهر امرأة تتراجع من فرجة الخيمة  
بمجنحة الذراعين متشعنة الشعر يعلو صوتها الأبح في ثورة عاتية ،  
وهي تسوق القول في خيلاء وجبروت :

قآنلك الله من مبذر متلاف . . . بالأمس تصدقت بما لدينا  
من زاد ومؤنة على طاريء ملحاح أشد منك قوة وأقدر على  
كسب . . . واليوم أنفقت عن سعة ما ادخرت من لبن وزبد على  
امرأة لعب . . . أمرضاة ربك ابتغيت فيما قدمت أم مست المرأة  
بالأعياها من قلبك الشغاف ؟ ... لقد طمحت عينك إلى ما وراء  
بيتك وأهلك لا محالة . . . سأبلغ كبيرنا أمرك ليتخذ في شأنك

ما يتخذ من عقاب .

واعتدلت المرأة تولى الخيمة ظهرها ، وأقبلت على الطريق  
تقطعه في تسخط وضجر .

وأهل من أحشاء الخيمة رجل في ضجى العمر طلى الوجه  
مبسوط الألواح ، تتوضع فيه سكينه النفس ، وفي عينيه توسل  
وضراعة ، ينظر إلى تلك المرأة المتتمرة وهى فى منصرفها تدب  
على الثرى ديبب التذمر والاستياء .

وصاح بها مفصحا عن مطلبه ، ملحفا فى الرجاء  
والاستعطاف .

فاضطربت المرأة واستدارت تقذفه فى أنفة واستعلاء بقولها:  
لا عود لى . . . فلتبق وحدك يا قرين السوء .  
وتابعت سيرها تفسح الخطأ .

وذبل الرجل فى وقفته ، وما عثم أن ترك نفسه لفجوة الخيمة  
تبتلعه ، واستلقى على أديم الأرض يضرب شوطا فى عالم الآوهام ،  
فألنى حياته تجثم على صدره أمواج باعتهما الجود تخنق منه الأنفاس ،  
فقام ينفض نفسه وقد تملكه خوف وقنوط ، ولاد بركن من  
الخيمة يتجمع فيه مغلوبا على أمره ، يستبد به الوسواس فتخايلت  
له صور من حياته طالما نغصت عليه عيشه وكدرت عليه الحياة .



إن هو انبسط ينشد ساعة دعة قامت امرأته إلى موضع الرأس  
من فراشه تندب حظها الأنيح الذي ربطها بتلك العجلة الكسول،  
فتنعى عليه صمته واتزانته ، كأنها تكلى نجثم على فوهة قبر ندى  
يحتوى على رفات .

وإن هو جلس لياكل أفسدت عليه لذة المبادأة ، تصرف يده  
إلى لون تختاره في الحاجة ، ولا تفتأ تحاصره حتى يذعن مضطرا  
لأمرها . فإن أصاب لقيات لاحقته بسائر الأصناف حينئذ تأمره  
وحينا تنهيه ، ولا تزال به حتى يضيق ذرعا فيصطف عن المائدة ،  
لا عن شبع وامتلأه ، بل عن ضجر وملال .

وإن تشاغل عنها شغبت عليه مطالبة إياه أن يكف عن تأملاته ،  
فإن لم يستجب لقيته محومة تطلق صوتها تنشد الأناشيد معكرة  
عليه صفاء المجلس الأنيح .

والويل له إن هو أبدى رأيا أو ناقش مسألة ، ترفع عقيرتها  
بالمناقضة تفحمه في ذلاقة لسان وسفاهة قول .

على هذا النحو سار الرجل في حياته يودع أمسيته ويستقبل  
نهاره ، خوار العزم ، سلب الإرادة ، كبتك السفينة التي تتلاعب  
بها الرياح ، فلا تحسن تصريف أمرها ، وما هي إلا أن تعبت بها  
غوارب الأمواج من كل صوب .

وما أصبح الغد حتى كان كبير القبيلة على عرشه فى ساحة  
العادل الكبرى متفينا ظل دوحة مورقة ، وقد ارتدى لبوسه  
الحربى يتمنطق بملائق سيفه ، وهو شارة الإمرة ورمز الملك ،  
مسرحا بصره فى جموع الشاكين وأصحاب الظلامات .

ويأشارة من الأمير دوى فى الحلقة صوت جمهورى يصيح :  
نظموا جموعكم ، وسورا صفوفكم ، وتقدموا واحداً  
تلو الآخر .

وماج الجمع وماج ، واستطاع الأشداء منهم أن يتصدروا  
الحشد ، ثم اختلطت أصواتهم تجار بالشكوى .

وصرخ الأمين محتداً يهدد :

إن لم تأخذوا أنفسكم بالنظام فلن يستمع كبيرنا لأحد منكم ...  
صمتا ... صمتا ... لكل منكم وقت معلوم ، يعرض على أميرنا  
شكايته .. ويتكلم بما يريد .

وخفتت الأصوات تستجيب لنداء الأمين ، وساد سكون .

وأوما كبير القبيلة إلى أمينه يستدنيه ، فسعى الرجل إلى سيده  
بضع خطوات ينحنى أمامه انحناء التجلة والإعظام ، فأمر الكبير  
إليه كلمات ما إن وعاما حتى تراجع متظامن الهامة ، ثم صلب  
عوده يعتدل ، منتقلا بصره فى الجمع ، وبعد هنية أشار إلى

امراة يقول لها فى طهجة الامر :

اقتربنى ... نعم ... أنت .

واضطرب الناس ، وشقت المرأة سبيلها على استحياء حذرة .  
الخطو ، ولما بلغت بهرة الساحة أمسكت عن السير وهى تقلب فى .  
الناس نظرها من طرف خفى ، والناس من دونها يرمقونها فى  
تطلع وفضول .

ودفعها الامين صوب كبير القبيلة ، فدرجت تنقل قدميها فى .  
محاذرة واحتراس بادية التخاذل والتهيب ، وإذ دانت عرش السيد  
المطاع ثبتت فى وقفها ناكسة الرأس ، لا ينطلق لسانها بشئ .

وتنحجح الكبير موجهاً اليها القول يسأل :

ما شكائتك أيتها المرأة ؟.. أمس سمعنا منك ثارا من كلام ...  
ابسطى شكائك وقولى الحق ... ولا شئ غير الحق ... وإلا نزلت  
بك لعنتنا فتنالين إرن كذبت أسوأ عقاب ... وأمرنا حاجبنا  
بتنفيذ ما نقضى به من نكال .

وتلعثمت المرأة ، وسادها ارتباك .

— تكلمى ... ليس لدينا وقت .

فتلاطمت الكلمات على شفثيها ، ثم قالت فى مسكنة وتخاضع :  
سيدى الرئيس ، لقد بلغت الأقدار برجل ما خلق مثله فى الناس ...

إن تفننت له في طعام لم يعجبه ، وإن توددت إليه في نوم تناءى عني ،  
وإن أنا قلت له قولاً حسناً وكلمة معروفة جازاني عليها بشتى وسباب .  
وتعالت همهمات الناس تظاهر المرأة على زوجها ، ذلك الزوج  
المتجبر العنيد ، فنظرت إليهم تسكتهم ، وقد تنمرت منها القسمات .  
ورفعت عقيرتها جياشة النفس :

ليس هذا كل مافي الأمر .. لقد تصدق الرجل بالزاد والمؤنة  
: تاركاً بيته قاعاً صفصفاً . . . والأمر من ذلك والأدهى أن عينه  
طمحت إلى ما وراء خبائه . . . أيرضيكُم ذلك ؟ . . . أتودون أن  
تسمعوا وتعوا فوق هذا من شأن ذلك العشير الشغوب ؟ حسبكم  
.. ما قلت !... ماذا أقول ... ؟ إنه لم يعبأ بما للقبيلة من عرف وناموس  
فكأنه شيطان مريد . . . منذ فجر حياتي معه وأنا أتجرع منه  
المهانة والمذلة والإصغار ... إليكم أمرى ... وعند كبيرنا القضاء  
العادل الحكيم .

وصك الأسماع صوت يردد ، إنه الزوج يصيح :  
شد ما أنت خداعة كذوب ... تجنيت على ... رميتني من التهم  
بما أنا منه براء ...

ودارت المرأة على عقبيها تواجه القوم بعين ينهل منها الدمع ،  
وهي تصرخ :

أتسمعون ؟ ... إنه يجرؤ على أن يكذبني .  
ودوت في الأرجاء عاصفة استنكار من بين الصفوف ، تأخذ  
على الرجل سبيله في مغالبة خصمه والدفاع عن نفسه .  
وهنا قرع سيد القبيلة الأرض بصولجانه ، فإذا الناس سكوت  
كأنما أخذتهم الصاعقة ، وشرع الأمير بوجه إلى الزوج حديثه  
قائلاً له :

إذا كان لديك من حجة تدرا بها التهمة عنك فسق إلينا  
حجتك ... هات ما عندك ... إننا نسمع لك .  
وطوف الرجل بنظرانه في الجمع الزاخر ، فألنى الناس يشرعون  
إليه عيوناً تتوقد من حفيظة وغضب ، كأنما هم يطالبونه بشار ،  
فعمقت البغته لسانه ، ولم يجر من جواب ..  
ورعد صوت الكبير يقول :

فيم صمتك ... أقرر أنت بما رميت به من ذنوب ؟  
فهز الرجل رأسه في قنوط واغتمام بهمهم :  
وحق الإله إني برىء ... وحق الرب إنك لم تسمع من  
زوجتي غير بهتان من القول وزور .

وأخيراً نطق الكبير بقول فصل في رزاة واتناد :  
من كانت هذه صفاته فالجزاء الأوحده هو الجلاء ... حسبه

هذه المرة مائة سوط ... على أميننا تنفيذ حكمنا هذا .  
وسيق الرجل ليأخذ جزءا تجبره على الزوجة الصبور ،  
واستخفافه بما للقبيلة من عرف وناموس ، والحشود يتصايحون  
تصاييح الاستحسان .

واعتدل الأمير ينظر فيما لديه من شكايات .  
إن كان قانون البشر لم ينصر الرجل على أمره ، فليتجه إلى  
أبواب السماء يطرقها لعله واجد عندها فرجا من كربته ، وإنصافاً  
له من ظلم مبين .

وفي الليلة السابعة من لياليه المباركة شوهد الرجل يتهادى إلى  
المبعد الكبير محملاً بزاز وموّن ، وعكف عشيته يقدم القرابين إلى  
الإله الأعظم ، ويحرق أصناف البخور ، مصلياً بقلب صاف  
وعين غاشعة ، حتى غشيه نعاس .

فانبجحت له طاقة من نور ، وانشقت الحجب عن طيف سماوى  
يطل عليه بشعره الأشيب ولحيته الكثة ونظراته الثاقبة ، يحف  
به لمة من الأشياع والآتباع ، يرتلون أناشيد التجلة والتوقير .  
وصلصل صوت الطيف السماوى يرعد كالبرق ، وخرجت  
كلماته كأنها الجنادل الصم ينادى :  
يا ابن الأرض تيقظ ... إن الساعة ليست بساعة نوم .

فارتعد الرجل يفيق ، وقد أشرع أنظاره يأخذها هذا التائق  
والبهاء ، متسماً إلى الهاتف في تخشع واضطراب :

لقد عرفنا صلواتك ، وأصبنا حظنا من قرابينك ، وقررنا أن  
نعير شكواك اهتمامنا ... تمن ما تمنى ... تمن ما يحيش في نفسك ...

وسجد الرجل يسرد شكواه ، رافعاً أمانيه يتمتم :

تعلون يا أهل السماء ما في نفسي ولا أعلم ما في أنفسكم ...  
اهدوني طريق الصلاح ... أفتوني في أمرى ... أذيقوني طعم  
الراحة والهدوء . وأريحوا قلبي من امرأتى الشغوب .

وارتجت أرجاء المعبد بالصوت الراعد يصبح :

مطلبك بحباب ... وستحقق لك الأمانى والدعوات .

وبينما الرجل في سجده إذ احتجب النور ، وتوارت عن عينه  
الآشباح المقدسة ، وعاوده النعاس .

وعندما أسفر الصباح يلوح ، ذهل الرجل عما كان بينه وبين  
الآطيات السماوية من حديث ، فقام يتمطى صادفاً عن المعبد ،  
وسلك سبيله إلى خيمته ، ناكس الرأس ، يستغرق في تفكير .

وجاز في طريقه بعراف القبيلة ، متجمعاً في جلسته ، يسرح  
البصر في الفضاء ، وقد انخرط في صمت .

فرفع الرجل رأسه يلتقى على سمع العراف ما يليق بمقامه من .  
تحية وإكبار :

السلام على عرفنا الأعظم .

فشق الشيخ سكوته ، وأرسل إليه تحية ندية :

السلام على ابننا ... حبيب الإله .

وكان من عادات العراف أنه لا يرد السلام على أحد إلا إذا  
كان عنده من شأن المسلم عليه نبأ وشيك الوقوع .

فما كاد الرجل يسمع رد التحية ، حتى أيقن أن نمة أمراً جللاً  
يخبؤه له صدر العراف ، فأقبل على مستودع الأسرار يستل منه  
النبا الكمين :

ما وراء تحية عرفنا الأعظم ... أخطب واقع ؟ ...

فشدت نظرات الشيخ ، وبرقت على شفثيه هذه الكلمات :

ويل للظالم من ظلمه ... وحش الفلاة له بمرصد ... يسعى إلى

حتفه برغم أنفه !

وجعل العراف ينتفض وهو يردد قوله في صوت يشبه الزئير ،

فتردد الغابة هديره الخفيف كأنه الصواعق تصطك بها الأسماك ،

فتتشعر لها الأبدان وتمخلع لها القلوب من خشية وخوف .



فبارحه الرجل ، وذهنه مقسم بين التصورات والأوهام .  
ولما رجع إلى حيه ابتدره الناس ينعون إليه زوجه ... لقد  
تناهبت السباع جسدها حين قدمت الغدير تستقي ، فلم يبق لها  
من أثر .

وتواردت الأيام تدور..

وشعر الرجل بأدى أمره بالسعادة تغمره في وحدته ، واستنش  
نسيم الحرية والهدهد ، غير أن الإنسان جبل ألوفا يتطلع إلى  
المعاشرة ويهفو إلى الموانسة ، ومرعان ما مضى الرجل بتفرده  
ونازعه قلبه إلى أليف يضافيه ، فانطلق من فوره يتنقل في أنحاء  
الحى يخطب بديلا من زوجه الراحلة ، وما عثم أن أصاب بغيبته في  
صبيحة مليحة أوقدت نار خيائه ، واستوت على يديه تمتعه بشبابها  
النضر ، وتنادمه بحلو الحديث ، فأضحى عيشه باسما وأيامه متوردة .  
وساعة أم الرجل مناخ الإبل يقدم لها الكلاء والماء ، وبينما هو  
منهمك في عمله ترامت له في أفق سمائه حشرة سوداء لها غنان  
مترسل ورقصات محمومة .

واشرأب يتأمل ، فانقضت من عليها تحط على يده ، فصرها  
مرة ، فارتفعت إلى وجهه تلسعه ، وطفقت تنقل من جبهته ، إلى  
ساحبه ، إلى أنفه ، إلى فمه ، إلى عينيه .

فذبها عنه مرات ، فكانت تنأى عنه تخاتله ، وما تلبث أن تنقض عليه تؤذيه .

فتطلع إليها في حلق ، وهو يغمغم :  
أف لك ... سأقتلك إن لم تخلي سبيلي ، وترحلي عني .  
وأزمع أن يهوى عليها بيده فيودى بها ، ورفع كفه بكل ما فيه من قوة ، فتباعدت الحشرة عنه ، ووقعت اللطمة على صدغه .  
أشد ما تكون ...

ورمق الحشرة وهي تتراقص في الفضاء ، وهمهم :  
ما شأنك بي يا حشرة السوء ... يا لنكبتى هذا الصباح !  
وقفل الرجل راجعا إلى بيته ، وكان الغداء مهيا له ، فانصرف إلى ما قدم إليه يصيب منه ، وإذا بهذا العدو الأسود يعاوده بالأذية والشر ... تلك هي الحشرة الملعونة تحاوره وتختله لاتنفك عنه !  
فأربد وجه الرجل ، وغمغم :

أى شيطان حل فيك أيتها الحشرة الشغوب !  
وسرمان ما حطت على أذنه ، وقد سمع الرجل خلال غناهما حديثا عجبا :

لقد أجابتك السماء إلى سؤالك ، فاقترعت مني ، وعاقبتني على

سوء صليبي ، فسختى ذباية لها ما كان لي من شراسة وضيق ... لن  
أريحك يا رجل ... ولن أقدر على فراقك ... ولن أتركك لامرأة  
غيري تنعم بالرفاهة والاطمئنان .

فدفنهما الرجل بظهر يده وهو يستعيز ، خلقت في الأجواء  
نشوى انحط عليه تسعة مرة بعد مرة . ثم قالت له تودعه :  
سأزورك كل يوم ... بل في كل ثمانية من نهار أوليل ... أنت لي ...  
أنت تفتقر إلي ... سأكون لك كما أنت لي ... سأقاسمك الحياة على مر  
الأزمان وكر الحقب ... سألاحقك ما دامت على الأرض حياة !

وسكت الشيخ عن الكلام ، وقد أفاق من جولته في دولة  
الذباب ، وعلى فمه تتخايل بسمة استخفاف عريضة .  
فغمغم صاحب السؤال ، وقد اتسمت على وجه شارة الدهشة  
والخيرة :

أ كذلك خلقت الذباية ؟ ... اللهم رحماك !

وتهاوس في أعقابه الجمع يقولون :

اللهم اكفنا شر الذباب !

وزايل الشيخ مكانه من مسجد <sup>٢</sup>«السجق» بمدينة بغداد ، وقد

استنار وجهه من بشر وارتياح ا غير أنه عندما اجتاز باب المسجد  
الكبير حطت على لحيته ذبابة تمايت شعراته كأنها تناقشه الحساب،  
وتنكر عليه أن يرد خلقها إلى تلك القصة التي أفضى بها إلى الناس....  
قصة المرأة الشغوب ا

فذبها بيمينه ، وقد اقشعر وجهه من تأنف واستياء ا.

## حسين

جلس الزوجان «عزيز» و «عزيزة» حول مائدة الطعام متقابلين ، يصيبان فطورهما ، كل منهما فيما يشغله ، فالزوج منصرف إلى جريدته يتفحصها ، والزوجة معنية بقدرح الشاي تترعه ، وقد شملهما صمت ساخن ، امتد يضرب رواقه في حنايا الشقة التي يسكنانها ، بأعلى طبقة من إحدى الشواهدق ، في صميم القاهرة .

وما شرع «عزيز» يتبلع بمضغعة من طعام ، حتى أشعل لفافة تبغ ، انسرح يدخنها في استمرار ولذة ، فأنبرت له زوجته تصيح حازمة اللهجة :

لكن نهيتك عن التدخين حتى تتم فطورك وتخلص منه ... ؟  
التدخين على هذه الصورة مضر بك .

ولكن الزوج أبى أن يستمع ، وقلب صفحة الجريدة لا ينبس .  
فاحتدت «عزيزة» تستوضح :

ألم تصنع لى ... ؟ فيم أنت تائه هذا الصباح ؟

ورفع «عزيز» الجريدة عن وجهه ، وتطلع إلى زوجته ،  
يديم فيها النظر ، متداعى الصبر ، يقول :  
«عزيزة» ... كفاك إملاء ونهيا ... دعى النهار ينفض  
على خير .

— أنسمى ذلك إملاء ونهيا ... ؟ أنا لا أبغى لك إلا الخير ...  
أتخاطر بصحتك فأسكت عنك ؟

— «عزيزة» ... أرجوك ، كفى عن هذا الشغب .  
— أتقابل إخلاصى لك ، واهتمامى بك ، بالنكران والجحد ؟  
— «عزيزة» ... لم أعد أطيق الحديث على هذا النحو ... لأنه  
يشير أعصابى ، فأقلعنى عنه .

— لن أدع الضرر ينزل بك ... لن أقف مكتوفة اليد ،  
لا أدروءه عنك وأحميك منه .

— أوامر ... أوامر ... أوامر ... ألا تحسنين فى عيشك ،  
إلا الأمر والنهى ... ؟ الأكل عندك بأمر ... والنوم بأمر ...  
حتى التدخين أصبح بأمر ... أنحن فى ثكنات عسكرية ليس لنا إلا  
إطاعة الأمر ... ؟

— صحتك أغلى من كل شئ ... لن أتخلى عن رعايتك مهما  
كلفنى ذلك من جهد .

- أما فطنت إلى أنى لست دمية ، مسلوقة الإرادة ، تتحرك بين يديك ، بوحى منك ... تشيرين فتخضع ... وتنهين فتمتتع ... لا ... لا ... أنا لست دمية لأحد .
- أنت غريب كالطفل لانهى أين يكمن الخير ... وجب أن آخذ بيدك ، وأقودك إلى ما أرى فيه النفع ... اعف عن صحتك ... لأنها ليست ملكا لك وحدك .
- وهوتم الزوج برأسه محققاً ، ونطق يجيب متحدياً :
- صحتى ملكى ... ولا شأن لغيرى بها .
- بل هى ملكى ... وأنا وحدى صاحبة الحق .
- إذن لن أكمل فطورى ، إن كان هذا هو الرأى .
- مستطقي لفافتك ، وتكمل فطورك طائعاً ، رضى النفس .
- لن أستجيب .
- مستدعن للأمر .
- بل سأدخلن لفافتى حتى آخر نفس .
- عزيز ، ... لا يروقنى أن تتخطى مانهيتك عنه .
- ها أنا ... أرى ماذا أنت صانعة ؟
- سأترزع منك اللفافة ، وأحشو فك بالطعام حشوا ، إن أبيت وتمنعت .

— لن يخضعنى أحد... إرادتى صلبة لا تنكسر .  
— وأنا عنيدة... رأى كالأصخر... ستخضع لى كما لو كنت  
رضيعاً لا حول لك ولا طول .  
— لن تنالى منى .  
— سترى .

وتحلحلت عن مجلسها فى خطف البرق ، معترمة تنفيذ ما أقسمت  
عليه ، فرق هو إلى باب الشقة مروق السهم ، متخطياً عتبة ، يصيح  
ملىء الصوت :

الجنة معك جحيم تعافى النفس !  
وهرولت فى أثره غاضبة تلاحقه ، فاعترضها الباب ، دفعه  
« عزيز » بكعب نعله ، فانطبق بعضه على بعض ، يقطع عليها  
السييل ، محدثاً دويلاً مرهوباً ، ورن صدهاء فى الشقة كالصرخة  
الملهوفة ، أطلقها الزوج فى حنق ، معلناً العصيان والسخط .  
فركلت « عزيزة » الباب ركلة قوية ، هزت أوصاله ، وزلزلت  
كيانه ، وصدفت عنه ، ترسل الدمع .

أما « عزيز » فاندس فى زحمة الطريق ، وجهته وزارة العدل ،  
حيث يعمل بها مستشاراً بقسم الفتاوى والرأى ، وكان نائراً ،  
يتمزق حنقاً ، ينهى اليوم الذى ربط فيه مصيره بمصير تلك الزوجة



التي انقلبت نمرة تعكر عليه متعة الحياة ، وبهجة العيش .  
ولما انتهى إلى حجرة مكتبه ، حيثه وجوه مكفهرة ، عليها  
قطوب وحزن ، فأطلق بصره يتفقد « السيد عزبي » رئيس القسم  
وكان صديقا له ، حفا به ، فصدمه مقعده خاليا إلا من الحشية التي  
يتربع عليها ، يصرف شواغل الناس في حماس ، تتراحب على  
شفثيه بسمة أنيسة ، يستقبل ويودع بها قصاده ، حتى ينتصف  
النهار ، فيغلق مكتبه ، وينصرف إلى بيته آمن البال ، مطمئن  
القلب ، لا تفتأ البسمة الأنيسة تتلألأ تحت شاربيه .  
وأحد « عزيز » النظر في سمات زميلته ، يستوثق والدهشة  
آخذة به كل مأخذ ، فانعطف عليه أحد الزملاء ، وكان منه عن  
كشب ، يهمس له :  
البركة فيك ... كلنا لها ... وهذا مصير كل حي !  
وأرتج على « عزيز » ، فلم ينطق بحرف ، وثرثر الزميل ،  
وعيناه بالمقعد الخالي معقودتان :  
ماتت زوجة الأستاذ ... الجنائز ظهرا من مسجد « عمر  
مكرم » .  
وتنفس « عزيز » الصعداء ، حين اطمأن على صديقه ، وتشدق  
بالكلمات ، وقد انفرجت عقد أساريره :

لم أقرأ النعى ... أو لم يعلنوا فى الجرائد نبأه ؟

— لم يتمكنوا .. حدثت الوفاة عند الفجر .

وانبسط « عزيز » على مقعده ، وهو يتنخى بقوله :

غمة وزالت ... هنيئاً له !

وعقب الزميل فى صوت منتحب :

لو علمت الحقيقة ما تفوهت بهذا القول ... كانت زوجة فاضلة

تحوط زوجها بحب غامر ... ألف رحمة عليها ... الفاتحة .

ورفع الزميل كفيه ، وأشار ببعنقه ببسمل ، فاعتدل « عزيز »

يطارحه الحديث فى مزاح يسخر منه :

وهل تجوز الرحمة على نساء الأرض ؟ . . مصيرهن النار

لا ريب ، وإن قرأت على أرواحهن القرآن بأكمله ألف

مرة ومرة .

وأجاب الزميل ضائق السمع :

اتق الله يا رجل ... أليس لك زوجة تحبها وتخاف عليها ... ؟

فتضاحك « عزيز » بهمهم :

لا عليك ... أستريح من ذلك البلاء المقيم .

— حرام عليك ... ألا تخشى الله ... ؟ ربما استجابت لدعائك

السماء ، فتحرر منها على غفلة منك .

ثم تنهد يضيف والحسرة تتمشى في مهبته :

ما أشد الفراق بين أليفين متحابين !

فتلفظ « عزيز ، مبتسما له :

مللت العيش على النحو الذى ألفته معها . . . حديثها يمجج

السمع ، وتمله النفس ، ويعافه الطبع .

فتزأيل عنه الزميل ، يهز رأسه ، ويضرب كفا بكف يجمجم :

أنت وشأنك . . . البقاء لله وحده .

وانكب على أوراقه ، يشغل باله عن ذلك الرفيق الفظ .

وخرج « عزيز ، إلى جامع عمر مكرم مع الزملة ، وتقدم من

« السيد عزب » يصابحه في حرارة مواسيا ، فأسلبه الرجل كفه في

قنوط ويأس . فتأمله « عزيز ، يتلفظ بكلمات رقاق يطيب بها

خاطره ، مهونا عليه الخطب ، فتبينه ملتاع الصدر ، يتقطع حشرات

ويذرف الدمع .

وبرز نعش الفقيده ، مدرجا في مطارف من كشمير ، يتخطر

على الأعناق ، ومن خلفه جمع المشيعين ، يتصدرهم «عزيز» يساير

صديقه جنبا إلى جنب ، تتناوح في رأسه الفكر ، وتهب على سمعه

تنهدة زميل المكتب وهو يترنم بحزون النبرة :

ما أشد الفراق بين أليفين متحابين !

فكان لها وقع النار في أذنيه ، فتغضن جبينه ، وران عليه اكتئاب .

وما كان أشد جزعه ، حين ترنح السيد عزب ، في خطوه . يستبده به نشيج جياش ، فسارع يعينه على تماسك وثبات ، مضطرب الأوصال ، جهم القسما ، يتصدع زفرات .

وفرطت منه نظرة إلى النعش ، فتملكته قشعريرة ، وأحس بالتفجع يغمره ، فأنحدت من عينيه دمعتان لم يقو على حبسهما في مآقيه الحزينة المجردة ، وانساب ينخرط والرقاق في مناجاة خرساء ، كما لو كان هو الزوج المطعون في ألينه ، يثنه ما يعمر صدره من حجة وإكبار .

ودارت في رأسه ذكريات .

وشعر بأنفاسه تنقطع وتحتبس ، فتوخى رباط الرقبة يفك عقده ، وإلى طوق قميصه يتحرر من قبضته ، يستجلب لرثيه مزيدا من هواء ، فتشعث هندامه ، وبانت عليه مخايل اضطراب واغتمام .

فها هو ذا يتمثل « عزيزة » في أول لقاء تم بينهما في حفل خيرى ساهر : كانت في ثوب أزرق مواج ، وقد عقصت شعرها إلى خلف في منفيرة خصبة ، فتهدل على ظهرها يزيدا من بهاء

ورواء ، وكأنها إلهة من آلهة الإغريق ، جاءت من عالمها العلوى  
لتشرك البشر ما هم فيه من سرور وطرب .

فقدق فيها يملأ من جمالها عينيه ، وقت أن قدمها له بعض  
الرفاق ، فأمسك بيدها يحبسها تحية تبجيل وإعظام ، وقد ملك حبها  
عنانها ، وسلب منه فؤاده ، فبات ليلته مؤرق الجفن حتى لاح الصباح ،  
فلفظه إلى مغناها طالبا يدها ، لا يصدق أنها ستحل بمنزله زوجة له .

ولبثا في رخاء من العيش ، يتقاسمان الود والصفاء ، كأنما هما  
عصفوران في قفص لا تغنيهما الحياة الرحيمة في قليل أو كثير ،  
بما تحويه من زخرف وزيف .

وتوقفت الجنازة عن السير ، تقيل صاحبنا من متاهات التأمل ،  
ويبداء التفكير .

وانتهى « السيد عزب » ناحية ، فلأزمه « عزيز » ملازمة  
الظل ، وتوافد عليهما المشيعون مصاحفين ، فكان يتقبل العزاء ،  
لا يفتر له بكاء ، ولا يغيض له دمع .

وحياه زميل المكتب بين مصدق ومكذب : أهذا « عزيز » ،  
زميله اللفظ ، أم هو طيف من الأطياف ، رقيق الحاشية ، مرهف  
الحس ، هبط من كوكب غير الذى نقطنه ، لا يماثل « عزيز » من  
قرب أو بعد ؟

وعدل الزميل عن رفيقه ، لا يعى لذلك الانقلاب من كنهه .  
وقصد «عزيز» مدينة الصمت فيمن قصدها من الاشباع والاتباع  
وأقام على فوهة القبر المشائب ، يرقب مأزوم النفس ، ما تجرى  
به الأحداث ، فإذا بالرفات يظهر من ناووسه الخشبي ، ملفوفاً في  
أكسية من حرير ، وإذا به يهبط إلى أغوار الرمس ، تحمله سواعد  
غلاظ إلى حيث لا تراه العيون .

وما يخلص اللحد من مراسم الدفن ، ويخرج إلى عالم الأحياء .  
نافضا يديه ، حتى تنشط بطائنه تسوى الجنادل وتهيل التراب الندي ،  
فتخلق مهاوى القبر ، كأنه الوحش الضاري أطبق فيه .

وإذا بجماعة من العفاة تتحلق على الضريح ، في أسمال وهلاهل ،  
ترتل الصلوات ، في حشرجة راتبة وصوت أجش ، كي تنفذ أقاويلهم  
إلى باطن الجدث ، فتلقى في قلب صاحبه الأمن ، وتلقنهما ما تستقبل  
به الملكين حين يناقشانها الحساب ، وما تنطق به من الجواب المقنع  
والرد المنجى من قصاص وعقاب ، فيسكن روعها ، وتعيش إلى  
الأبد ، في قرار سكينته ونعيم .

وترقى تلك الأناشيد إلى أسماع صديقنا «عزيز» ، وكأنها تهتده  
زميل المكتب تقرع أذنيه في ألم وجميع .

أحقاً هو كاره لزوجته ، محقق عليها لما بدر منها مما يسوءه ويضايقه ؟

هل كان جاداً فيما تفوه به من عبارات خرقائه ، تعافها النفس  
الطيبة ، ويأبأها القلب الخنون ؟

أفي مكنته أن يتخلى عن « عزيزة » يسلمها لمثل هذا المصير ،  
فلا يكون لها معه رجعة وعيش ؟

أهذا الذي يشهد ، منتهى حبه وهواه ، يعجز — وإن هو أرق  
قوة شمشون الخارقة — أن يحميه مبقياً عليه ؟

وأحس « عزيز » بقواه تنسرق منه ، وبالتهافت يستأثر به ،  
فعمد إلى شتات نفسه يستجمعه في عناق ، وتراجع هائماً على الطريق ،  
متفزع الفسکر ، حائر الطرف ، حتى تلمفته سيارة ، فارتقاها بحث  
السائق أن يسرع به إلى الوجهة التي رسمها له ، واعداء إياه أن يبدل  
له العطاء في سخاء .

وعندما كفت السيارة عن العدو ، هرع يصعد الدرج ، محتاج  
الوجدان ، وفتح باب الشقة على عجل ، ينادى زوجته ملهوف  
الصوت ، فظفر بها تصفف المائدة تعدها للغداء ، فارتبى في أحضانها  
يطوقها بذراعيه . . .

وكما رف للرأس في وجداته المتداعي رفيف ، احتدم عناقته  
واحتد تشبثه ، ولا يملك من نفسه إلا أن يضم « عزيزة » إلى صدره  
في عنف وإصرار ، كأنما يخشى عليها ، إن هو أرخى عنها ساعديه ،  
أن تفلت منه إلى وادي الحرمان ، وأن ترحل عنه إلى عالم الصمت !

## تَبَا لِمَا عَنِ الرِّفَاقِ

همه الأكبر الكتابة ، ومشغلته في دنياه الأدب ، أما عمله  
اليومي ففي دار البريد ، موظف مطمور الشأن ، مهبط الجانب ،  
يؤدي عمله في ملالة وفتور .

ما إن يشيع مكتبه ويلتقي بالطريق يطالع أفواج الناس ،  
ومواكب النور ، حتى تنبسط نفسه ، وتلتمع في رأسه أحلام  
وتصورات ، فيأوى إلى قهوة أو يقف على طوار ، يدون ما يعتلج في  
صدره من أصداء وأحاسيس ، وإذا به يلبح خلال السطور مولد  
قصة مثيرة ، تستحق فيما يظن ، الرضا والتقدير ، فلا تلبث الأوراق  
أن تطوى في رسالة ، يحملها صندوق البريد إلى الناشر ، يحدها  
مصير مجهول .

ماذا يا ترى يكون حظها في خضم الفن...؟ أحتويها سلة المهملات  
بين ما يستقر فيها من نفايات ... ؟ أم تدبوا من الجريدة الميكان  
المرموق تطالع الناس بجلائل العبر والعظات ...؟  
وينتظر الفتى صبحه ، مشبوب الفؤاد ، يترقب ، فإذا بالصحيفة



تصدر خالية من اسمه ، لا يحمل جبينها له قصة أو مقالا ، فيرين عليه .  
يأس وقفوط ، ويجر نفسه إلى مكتبه العبوس في تطامن وخنوع ،  
يضرب الرسائل بخاتمه ذى الوجه الأغبر الحشن ، تمضه حسرة ،  
ويحاصره ضيق .

وساير الفتى أيامه ، وما زالت الأفكار تتوالب في رأسه ، تنشده  
من محبستها حياة الطلاقة والشروق ، فيرسل لخياله العنان ، ويسيل  
المداد من قلبه أقاصيص وحكايات ، يصدرها كألوف عادته ، عسى  
أن يواتيه الحظ بأحسن مما كان .

غير أنه لم يظفر إلا بما يثبط عزمه ، ويفت في همته .  
وعلى الرغم من سوء طالعها في ميدانه الأثير ، فقد اتخذ الفتى  
لنفسه سمات الفنان وشيانه ، فأطال شعر رأسه ، وأصبح له عشرون  
منتفش ، وتلوى على عنقه رباط فاقع اللون على هيئة فراشة ، أما  
بقية الزى فكان لا يخلو من غرابية وشذوذ.

وكثيراً ما تعرض الفتى لنقد وتقريع بين أصدقائه حين كان .  
يضمهم مجلس ، ومرة جابهه أحدهم ، والبسمة تماوج على شفثيه  
يقول :

متى تطالعنا بأدبك الرفيع يا أستاذ؟... نود أن نقرأ لك روائع  
الافكار ...

فتنفخ صاحبنا يغمغم وقد طاش حبله :

عما قريب تظهر بما تريد ...

وأدار ظهره يدبر عن ذلك الرفيق المجترى ، وكأن في جسمه  
الساعات من نار ، وانخرط بين الناس يسايرهم على مدرجة الطريق ،  
لا يحسن من قيادة نفسه ، حتى أفضى به التجوال إلى أرباض  
القاهرة ، يشرف على الصحراء ، متراحة في جمود ، تتراعى عليها  
كشبان الرمال كأنها رفات الموتى ، قد غيبتهم ذلك الفضاء المهرب  
بين مناحيه ، فلا عظمة لهم بين الأحياء ولا وجود .

وانسرح الفتى مفكراً في مصيره ، وقد تملكه سهوم ...

أحقاً هو أديب موهوب ؟ أم أنه واهم يحدره ضلال مقنن

مستور ... ؟

ما ذلك الشبح المحجب الذى يباعد بينه وبين الشهرة والسمو ... ؟

لماذا تتكالب عليه قوى الشر تنجيه عن هدفه المنشود ، ألا وهو

الآخذ بيد الفن ، يدرج به إلى رفعة وكمال ... ؟

ولم يظفر صاحبنا إلا برجع صوته يردد في حماس تلك الأسئلة

الخبرى ، وسرعان ما أقبل راجعاً إلى عشه الموحش في ذلك الحى

المتواضع ، من مدينة « المعز » ، وهو فريسة لوساوس وظنون .

وانقطع الفتى عن عمله أياماً ، وأوصد عليه باب شقته ، وكأنه  
هشيم تأكله نار السكابة والاعتماد .

لأنه ضائق بذلك الإخفاق الملح ...

في غير مكنته أن يلاحق ركب الحياة ، وقد أذله ذلك الرفيق  
هاذئنا به ، منتقصاً من أدبه وفنه ... وخرج الفتى إلى سطح الدار ،  
وما لبث أن تهالك على خشية بالقرب من الحافة ، وقد أغض عينيه  
يناروشه رعب وتفزع ، فإذا هو في غابة تعانقت أدواحاتسد منافذ  
الضوء ، ومن فوق رأسه تصطفق الرعود ، وما هي إلا أن تنقض  
هصواعق تحاصره بالسنة من لطيب .

وسرعان ما هدأت العاصفة ، وانشق الغاب في صخب وضجيج  
عن وجه أشيب مسنون ، تعلوه صفرة ، وقد تزامحت غليه التجاعيد  
تزيده من دمامة واستيحاش .

ووقف الوجه قرب الفتى يحده جامد الملامح ، دون أن يطرف  
أو يبتسم ، فنظر إليه الفتى مأخوذاً من خشية ووجل ، فعلقت عيناه  
بلفائف من ورق مهلهل ، ناصل اللون ، فانقرج فم ذلك الوجه  
عن بسمه شوهاه ، وهو يقول :

اقرأ

— وماذا تريدني أن أقرأ ، والكلام غير مستبين ؟

فقهه الوجه قهقهة عاقية ، ثم أردف يقول :  
هذا هو أدبك ... أدبك الذى تعز به .

وسرعان ما اختفى الوجه ، تاركا الفتى يعانى الحيرة  
والاضطراب .

ماضره لو محال أثر لما خط وكتب ...؟ إن أضاميم القصائد ،  
وأضابير القصص ، ما هى إلا نزوة القلم ، واستبداد تفكير عقيم  
هابث ... فليخلص من ذلك الشقاء ... فليحرق أوراقه ... لأنها ليست  
جديرة بالحياة والنماء ... لتذهب أفكاره فى ركام النار غير  
مأسوف عليها ...

وصدر عن سطح الدار ، وقد استبد به أمر ، وما إن طالعتنه  
فى حجرته كومة الأوراق حتى أشعل عود ثقاب ، فالتهمت منه  
شرارة ، مالبثت أن اندلعت نارا حامية فى موقد عن كئيب منه .  
وامتدت يده إلى كومة الأوراق لا تقبلت منها شيئا ، ليقدمها  
طعاما سائغا لهذا اللهب المستعر ، وبغته توقف يتوسم أوراقه ، كأنها  
وليد محبوب ، له إيناس ، وإبتسام ، ودعة ...

ومال يقرأ فيها قراءة وداع ، فإذا به منساق يطاوع السطور  
فى نشوة وإعجاب ، وقد نسي ألسنة النار على مقربة منه تتصور من  
جوع ، كأنما هى فى حفيفها تطالبه بغذائها الموعود .

وعندما تاب إلى وعيه ، تنامى عن الموقد ، فسيح الخطو ،  
وهو يرميه بنظرات الزرابة والامتحان ، وقد ضم أوراقه يحميها  
من تلك النار التي ما خلقت إلا عقاباً للفجرة المارقين ، وما أوراقه  
إلا رسالة هداية وإصلاح جزاؤها جنة ونعيم !  
وأسرع الفتى إلى إناء يترعه بالماء ، ومثل حيال النار المتأججة  
يلقى عليها الماء جزافاً ، نغمدت أنفاسها في حشيرة شواه  
ووقف برهة بالقرب من الموقد تعروه قشعريرة ، وبان عليه  
وجوم التفكير .

وأحس الفتى أن نفسه أهون عليه ... فليتنحر هو ، وليعف  
عن أوراقه عسى أن تنعم يوماً بحياة عزيزة حافلة بالتقدير ...  
تلك هي حقيقة الخلود ، ليس الخلود بعمر يطول ، ولا بجسد  
يتحرك ويسعى .

عليه قبل أن يسمو بنفسه إلى عالم الأرواح والرموز ، أن يودع  
بنات أفكاره في رسالة تكون هي خاتمة مجهوده الأدبي ..

وانكفأ على صفحات بيضاء يديج ، وتناول قلبه يشرعه في وجه  
المسيطرين على النشر ، ينعى عليهم ظلمهم ، فإذا بالقلم يجرى في  
ليونته ويسر ، يخط قصة حياته ، واصفاً ما كابده من شقوة وعذاب ،  
في صدق تعبير وفورة إحساس .

وما أتمها حتى طواها يودعها ظرفها ، واستدعى إليه أحد الجيرة :  
يحملة الرسالة إلى صاحب جريدة « الإنسانية » . فحمل الرسالة  
وخرج بها ينتهب الطريق .

وتصرمت أيام على الفتى لم يقر له فيها قرار ، فهوى تائه .  
الفسكر ، شارد اللب ، لا يحسن حزم نفسه ، كاسارى فى جوف  
الليل تعتصره أوهام الظلام .

لقد اكفهرت الدنيا لعينيه ، وقذفت به ريح اليأس العاتية إلى .  
زجاجة المنوم يفرغ فى جوفه ما احتوته من أقراص مستديرة ،  
لامعة البياض .

ومرت الدقائق تماطل الزمن ، وسرت فى جسده المعذب وهو  
ملقى على الفراش ، سارية من فتور ، وتباطأت أنفاسه ، وتخاذلت .  
أوصاله ، وبدأ بصره يغم .

فإذا الوجه الشائه يبرز إليه من خلف الغيوم ، وقد تبدل حاله ،  
فانبسطت أساريه ، وتزايدت عنه التجاعيد ، تتضوأ على فمه بسمه  
وضيئة تحمل معنى التفاؤل والاطمئنان ، فقال للفتى فى صوت منغم .  
لا يخلو من كياسة وتظرف :

اقرأ .

فامثل الفتى يتصفح ورقات تحتوى على روائع أفكار ..

فاستغزاه الفضول يسأل عن هذه الدور وتلك الروائع ، فتودد له  
الوجه الوضى . يقول :

هى لك ... إنها أدبك الذى تعتز به وتفخر ... لقد مستك .  
يد الفن ، منذ تبسمت للحياة ، فأمنت فيما آمنت به أنك صاحب  
رسالة تسمو بالفن إلى مستواه المرموق ، فإذا بك تقبل على وحيك .  
تغترف من فيض خيالك غرفات منهوم ... الفن خمر أسكرتك .  
بكأسها ، فارتويت منها وأرويت الأوراق بأدب رفيع ... فاهناً  
بذلك ، وليكتب لك الخلود .

وتزایل الوجه عنه .

فاهتز الفتى يقاوم مجهداً مصيره المكتوب ، غير أن الفناء كان .  
قد غرز نصله فى مقتل ، فتهالك الفتى غير قادر أن يرد عنه .  
مصيره المحتوم .

وينشق جدار الحائط عن الوجه مرة ثانية ، وقد ظهر فى مظهره  
الشائه الكريه ، فالتفت إليه الفتى يستنصر عن مجيئه فى تلك اللحظة .  
الفاصلة ، فصدمه الوجه يقول :

بعد قليل ستأى إلى برزخ الأرواح ، قاطعاً ما بينك وبين  
الحياة ... لتمح ما كتبت .

فصرخ الفتى فى جهد يائس أخير :

هيات .. إنها بنات أفكارى ... ما الإنسان أيها الإخفاق  
البغيض ...؟ لأنه حفنة من تراب ... أما الفكر فهو ينبوع المتجدد  
الخالد ... سأموت بعد لحظات ... أما أفكارى ، أوراق ، فتعيش  
لتحارب فى سبيل البقاء ... اغرب عن وجهى .. ما أقساك أيها  
الإخفاق من ناقد جبار تमित الأمل ، وتطمس النور ... اغرب  
عن وجهى ...

وفى ملتطم تلك الحيرة واليأس كان الفتى يجاهد بين  
الظلام والنور . .

وفى ضحوة الغد اهتزت الحجرة بجلبة وهرج ، فقد حضر بعض  
الرفاق يهشون صديقتهم الأديب المغوار ، فإذا به جثة هامدة ، ليس  
للمديح والإطراء عليه سلطان .

وفى ظهيرة اليوم نفسه ، وقف أحد الرفاق على قبر الفقيد ،  
وما زال ندى الثرى ، يتلو رسالة الوداع ، وقد احتلت من صحيفة  
الإنسانية ، أرفع مكان ، ومالبث أن اختتم تلاوته بما كتبه ناقد  
الجريدة بتغنى بمولد أديب فوار العاطفة ، لماح الفكرة ، بارع  
الآداء ...

ولكن هل يستمع إلى أغاني الأحياء أهل القبور ؟ ..



## فهرس

صفحة						
٥	...	...	...	...	...	تصدير ...
٩	...	...	...	...	...	أمومة حائرة
٢٥	...	...	...	...	...	أطيان ...
٤٧	...	...	...	...	...	الجياع ...
٥٦	...	...	...	...	...	ثمالة الكأس
٧١	...	...	...	...	...	خيانة ...
٧٦	...	...	...	...	...	سر المغازل العريسد
٨٧	...	...	...	...	...	المعلم خميس
١٠٠	...	...	...	...	...	وعاشا في ثبات ونبات
١١٣	...	...	...	...	...	حساء الدجاج
١٢٣	...	...	...	...	...	أمنية ...
١٣٢	...	...	...	...	...	ماما ...
١٣٨	...	...	...	...	...	الذباية ...
١٥٥	...	...	...	...	...	حنين ...
١٦٦	...	...	...	...	...	تبساطاً عنه الرفاق

رقم الإيداع ٣٨٥٢/١٩٧٠



